

سلسلة
الأعداد
الخاصة

2

روايات مشهورة للخيال



ما وراء الطبيعة

٣٦

Looloo

www.dvd4arab.com

د. أحمد خال الزقوف



مقدمة

كان كتاب (فى كهوف دراجوسان) غريباً فى كل شيء ، ولاقى إقبالاً منقطع النظير . والإقبال منقطع النظير يعنى أن الجميع اقتناه ، لكنه لا يعنى بطبيعة الحال أن الجميع أحبه . هناك من كانوا مخلصين لطريقة السرد التقليدية التى تتحرك للأمام والأمام فقط ، فلم يقبلوا عنها بديلاً ؛ وبالتالي بدا لهم للكتاب كابوساً مريباً ، وهناك كثيرون ممن هاموا به حباً واعتبروه حدثاً .. لدى خطابات من قراء يطالبوننى بأن تكون هناك سلسلة دقمة على هذا النسق ، ولدى خطاب من والدة أحد القراء - وهى طبيبة فاضلة - تعترف بأنها تحب قصصى جداً لكنها تترجونى ألا أكرر جنون (دراجوسان) ثانية !

على كل حال كان من أحبوه هم أولئك الذين نظروا له كلعبة ، وتركيبه قريب جداً على كل حال من شكل ألعاب الكمبيوتر من طراز Adventures ، خاصة وهو يعمل بطريقة (إذا كان .. عندئذ .. وإلا) الشهيرة .. وفيما بعد قلم بعض الشباب اللامع - حوالى العشرين شيئاً لامعاً - من أكاديمية ITI للكمبيوتر باستخدام هذا الكتيب بالذات ليكون مشروع تخرجهم ؛ حيث قاموا بتحويله إلى لعبة مبهرة ثلاثية الأبعاد بالصوت والصورة ..

لكن تجربة (دراجوسان) لا يمكن أن تتكرر على كل حال ، وإلا بدت

كالدعاية التي قيلت من قبل .. وعدت بأن أقدم لكم تجربة مختلفة في الكتيب الخاص التالي ، وهأنذا أحاول أن أفي بوعدى ، والوعد مفتوح على كل حال .. كلما خطرت لى فكرة جديدة قدمتها فى كتيب خاص جديد .

هذه قصة مطاطة جداً ، وإن كانت هى البساطة بعينها .. يمكنك أن تختار رفيقاً يناسبك .. يمكنك أن تختار نوعية الخطر الذى يجب أن تمر به وتختار النهاية التى تفضلها .. كل هذا من خلال ١٢ حبكة فى ٣٦ فصلاً ، لن تشعر بالعمل خلالها أو هذا ما أتمناه .. الذين لم يحبوا (دراجوسان) سيجدون أن المحتوى القصصى هنا أكبر ، والذين أحبوا سيجدون أنها لعبة مسئلية أخرى .. ومن جديد أكرر بأمانة إننى لا أعرف تجربة سابقة فى العربية تشبه هذه .. فى الإنجليزية هناك بعض - أقول بعض - قصص (إيلرى كوين) .. فلو اتضح أن دار (الزيزفون) فى (نواكشوط) قدمت تجربة مماثلة عام ١٩١٦ فلا نذب لى ..

فى النهاية يمكنك أن تعود هنا لتلوم نفسك على خيارك غير الموفقة ، لكن لا تقلق .. بحسب المرء يوماً أنه أخطأ الاختيار وأن العشب أكثر نضارة فى الجانب الآخر .. من يدري ؟

وكما يقول الشاعر الكبير (صلاح عبد الصبور) :

فلو اخترنا لا اخترنا أخطاء أكثر ، وقتلنا أنفسنا ندماً ..

لقد حلم كثيرون بأن تحوى الحياة زر Undo كما فى برامج الكمبيوتر ليصحح أخطائك .. لماذا فضلت كلية الآداب على كلية الصيدلة ؟ لماذا فضلت (غلاة) على (لمياء) ؟ لماذا التهمت الصباغ بدلاً من البازلاء ؟ ليتك اخترت العكس منذ البداية .. حسن .. هذه القصة تحقق لك هذا الحلم ..

فقط ابدأ القراءة ، ولتكن اختياراتك حكيمة أو تهدو كذلك ..



هذا هو العجوز (رفعت إسماعيل) .. كلنا يعرفه ويفهمه .. لكنه بحاجة إلى حليف .. اختر له حليفاً من القائمة التالية ، ثم انتقل إلى الصفحة التالية :

١ - (ماجى ماكيلوب) : حبيبته المخلصة التى عرفها منذ كان يدرس فى (أسكتلندا) ، والتى ارتبطت معه بعهد خفى دائم حتى تحترق النجوم .

٢ - (عزت) : المهندس السابق جار (رفعت) ، والشاب النحيل المصاب بمرض عضل .. إنه الإخلاص بعينه لكنه يقع فى مشاكل دقمة .

٣ - (هن - تشو - كان) : آخر الباقيين من عقيدة تبتية منسية ، وهو الذى فر من عالمه ليجد نفسه بيننا .. إنه شديد الذيل والشجاعة بالإضافة إلى قدراته شبه الخارقة ..

هذا هو العجوز (رفعت إسماعيل) وقد وجد حليفاً .. إن له أعداء كثيرين لكننا سوف نكتفى بواحد .. اختر الخطر الذى يواجه (رفعت) فى المغامرة القادمة :

١ - مصاصو دماء .

٢ - تعويذة قديمة منسية كالعادة .

٣ - الموتى الذين ليسوا كذلك .

٤ - عراف شرير .

جميل .. لقد اخترت كل شيء .. الآن أين تذهب ؟ اقترح أن تراجع الجداول التالية لتعرف وجهتك ثم اختر نهاية سخيطة أو مملة حسب ذوقك .. لن أمانع فى أن تعود هنا على تختار شيئاً آخر ..
لننسا فى الحياة الواقعية حيث الخيارات بلا رجعة ، ولا تكن من المغرورين الذين يقولون : لو عاد بى الزمن لاخترت الأشياء ذاتها .. (لاحظ أننا لست متعصبين أو متصليب الرأى على الإطلاق) :

الحليف	الشكل	اتجه للفصل رقم	نهاية سخيطة ، اتجه للفصل رقم	نهاية مملة ، اتجه للفصل رقم
ماجى ماكيلوب	مصاصو دماء	1	21	36
	تعويذة قديمة منسية كالعادة	5	23	26
	الموتى الذين ليسوا كذلك	9	15	34
	عراف شرير	4	20	32

الحلقة	المسألة	اتجاه الفصل رقم	نهاية سقيمة اتجاه الفصل رقم	نهاية معلة اتجاه الفصل رقم
عزت	مصاصو دماء	2	17	29
	تعويذة قديمة منسية كالعادة	8	18	30
	الموتى الذين ليسوا كذلك	7	24	31
	عراف شرير	6	16	28

هن - تشو - كان	مصاصو دماء	3	13	33
	تعويذة قديمة منسية كالعادة	12	22	27
	الموتى الذين ليسوا كذلك	11	14	35
	عراف شرير	10	19	25

- ١ -

مسديقتي

قالت (ماجي) في خطابها لي :

الأعز رفعت :

أفتقدك كثيراً في الآونة الأخيرة .. وإني لأتساءل عما تفعله الآن .. لا أعتقد أنك مستمر في مطاردة الأثرياح والمومياءات ؛ لأن الحياة تتغير ونحن نتغير .. أعتقد أنك قد توقفت إن لم يكن بفعل الملل بفعل السن ..

لا أعرف لماذا أكتب هذا الخطاب بالذات ، فأنا لا أعتقد أنني أملك شفافية خاصة أو أرى تلك الأمور التي تراها طيلة الوقت ، لكنني بالفعل أريد معرفة رأيك ..

أنت تعرف أنني أعيش وحدي هنا في قصر أبي في (انفرنسباير) .. (جراهام) الخادم العجوز الذي لا يخرج أبداً يوفّر لي كل ما أطلبه .. هناك إيقاع الحياة المعتاد من عملي في الجامعة ومن الوحدة ومن أشباح القصر المعتادة .. قصر أسكتلندي بدون أشباح هو خبز بلا دقيق ، وكما قلت لك أحسب هذه الأشباح تتقاضى راتبها من الحكومة الأسكتلندية مقابل تنشيط السياحة .. هناك أكثر من عشرين سير (ماكيلوب) يتحركون في الممرات ليلاً ..

هذا شيء معتاد ولا يثير دهشتي ..

هناك صداقات محدودة لى كما تعلم ، وهى من طراز الصداقات الأرستقراطية التى تشعرك بعدم الراحة .. ومن ضمن هذه الصداقات عارضة الأرياء (إليصابات مكديمروت) ، وهناك شاعر يتكلى شعره على كتفيه ويعتقد أنه يحبنى ، وهناك (إيوان فريزر) الصياد الذى ينجح يوماً فى إثارة غيبتك ..

القصة تتعلق بـ (إليصابات) .. فى البداية يجب أن أصفها لك جيداً .. بما أنها عارضة أزياء فهى رشيقة فارعة الطول .. حتى أنها أبدت بدينة قصيرة حينما أكون جوارها .. لها وجه راق متعال بعض الشيء .. شعر أحمر وعينان غامضتان عميقتان .. إنها من الطبقات الراقية وهى من الطراز الذى يقضى الشتاء فى (سان موريتز) وتزور (باريس) مرتين فى العام على الأقل .. أعتقد أن ثمن قرطها يساوى راتبى لمدة خمسة أعوام ..

لكن هناك نقطة نفسية معينة ، هى أن أسرتنا عريقة فعلاً وذات اسم مرموق فى مجال العلم ، حتى إن لم نكن أثرياء لهذا الحد .. لهذا تصر (إليصابات) على أن تبقى فى دارتها ، لأن هذا يعطيها شعوراً بالاكتمال .. إنها ثرية جميلة ولها صديقة عريقة الأصل من أسرة محترمة علمياً .. أنت تفهم هذه الألعاب النفسية ..

(إليصابات) شبه مخطوبة لطبيب يدعى (أندرو أروسميث) .. وهو من نفس الطبقة على كل حال ، وقد كان تلميذاً لأبى مثلك لكنه أصغر سناً منك وبالطبع أكثر وسامة ..

هل فهمت القصة ؟ أعتقد بما أعرفه عن ذكائك أنك استنتجت الباقي وأنت وصلت إلى استنتاجك الخاص .. ماذا ؟ لم تصل بعد ؟ هذا يخيب أملى فيك ..

حسن .. سأكون أوضح .. منذ فترة بدأت (إليصابات) تشحب بشكل مستمر .. أصابها داء لا يعرف الأطباء سببه ولا منشأه .. أنيميا غريبة شديدة الوطء .. إنهم متأكدون من أنها تفتقد دمًا لكن كيف ؟ وسهل للتأكد من أنها لا تتزف من القناة الهضمية أو رئتيها أو أسنانها أو أنفها أو رحمها ..

كان (أندرو) هو أول من لاحظ هذا .. لا تنس أنه طبيب .. قال إن نسبة الهيموجلوبين فى دمها خمسة جرامات وإن هذا رقم خطير ، وقد طلب أن ننقل لها بعض الدم فى المستشفى ..

الغريب فى الموضوع هو أن (إليصابات) لا تبدو قلقة على الإطلاق .. إنها سعيدة نشطة ، وتقول إن هذا الشحوب يعطيها (لمسة فكتورية محببة) ..

إلى هنا لا يتجاوز الأمر مجرد معضلة طبية لا تعينى فى شيء .. لكن (أندرو) فحسها بعناية أكثر ، وقد جاء لى ذات ليلة مهموماً ليصارحنى بمخاوفه الصيقة .

قل صامتاً بضع دقائق ، ثم غطى وجهه وراح يفكر .. فى النهاية قال : « لا أعرف كيف أقسر هذا .. لكن هناك ثقبين فى جذر عنق (إليصابات) .. »

قلت له فى برود :

« وما فى ذلك ؟ ماذا تلمح إليه ؟ »

قال فى حيرة :

« المشهد المعتاد فى قصص مصاصى الدماء .. الفتاة تشحب بلا سبب ثم يجد الطبيب أن هناك ثقبين فى جذور العنق .. ثم يتضح أن مصاص الدماء يزورها كل ليلة .. »

بدأ لى هذا سخيلاً بحق .. لا بد أنه يمزح .. ثقب العنق هذه لا قيمة لها إلا عندما تكون القصة من قصص مصاصى الدماء ، وعندما يتضح أن الأحمق الذى يسخر من الموضوع قد ارتكب خطأ عرره ، أما هنا فنحن فى عالم الواقع حيث لا داعى لهذه التلمعات القوطية ..

قال لى بنوع من الرجاء :

« سأطلب منك خدمة وأرجو ألا تخذلبنى .. »

« هذا يتوقف على نوع الخدمة .. »

« أنت تعرفين أن (إصابات) تعيش وحدها .. تنام وحدها فى ذلك البيت شبه المقفر .. أنا بحاجة إلى من يكون قريباً منها ويراقب الأحداث عن كثب .. أريد أن أعرف ما يحدث لها ليلاً ، لهذا لمحت لها إلى أنك قد ترحبين باستضافتها فى قصرى ! »

أحنقتى هذا .. لم أمقت فى حياتى قدر هذه القرارات التى أتخذها دون علمى .. فقلت :

« لا بد أنك تمزح ! »

« لو فكرت فى الأمر ملياً لوجدت أنني لا أمزح .. وأن هذا هو الحل الوحيد .. »

كانت فكرته هى أن أختار لها غرفة .. لا لن أقيم معها فيها ولن نملأ الباب بالثوم ونرش العتبات بالماء المقدس .. كل ما طلبه هو دائرة مراقبة تلفزيونية يسهل على أن أضعها بصفتى المختصة فى الفيزياء(*) .. هذه الدائرة تسمح لى برؤية الغرفة ليلاً والحكم على الأمور ..

أعتقد أنك توشك على الانفجار ضحكاً .. لكن قل لى بربك ما يجب أن أفعله .. لقد وضعتى فى صورة الفتاة المدللة التى توشك على التخلي عن صديق ..

تعليقاتك ضرورية وحيوية ..

بإخلاص :

ماجى

رديت على هذا الخطاب بخطاب آخر أحذف منه عبارات الشوق والهيام والغزل بعد إنك وأذكر الفقرة الموضوعية التى تهتم الجميع :

(ماجى) العزيرة !

(.. هيام .. شوق .. عيناك .. النجوم .. إلخ) ... فى الواقع لست

(*) فى زمن القصة كان هذا طموحاً علمياً زائداً ..

مستعداً للسفرية من هذا الذى تحكين .. فأنا من طراز أولئك الذين تقابلينهم فى قصص الرعب ويصدقون كل شيء (ويتضح أنهم على حق) ..

لكنى على كل حال لست مستعداً لأن أقبل أى شيء ببساطة .. إن القصص كثيرة عن حالات فقر الدم والندوب التى تحير الأطباء ، ثم يتضح أن المريض نفسه هو من أحدثها فى نفسه على سبيل اللذة العاسوشية أو التنكيل بالذات وتكتم ذلك .. عرفت مريضة كانت تستنزف الدم من وريد خلى فى جسمها لتصاب بفقر الدم الذى أثار جنون الأطباء ..

أعتقد أن موضوع مراقبتها هذا مفيد حقاً .. رايى أن تقبلى هذا العرض وترجى به .. من ناحية هى ستمنحك بعض التسلية ، ومن ناحية أخرى أعتقد أنها ستقدم لك هبة العلم التى لا تقدر بثمن ..

أقبل العرض وأبلغينى بما يستجد ..

رأيت إسماعيل

★ ★ ★

الاعزوفت :

لم يطل الأمر على كل حال .. قمت بترتيب كل شيء وقد جاءت (إليصابات) للإقامة معى ، وهى تعتبر الأمر كله دعابة .. لكنى لم أخبرها بشيء .. قلت إن خطيبها اقترح أن تكون فى رفقتى بضعة أيام . وبالطبع لا يعرف سوى أن هناك كاميرا صغيرة فى حجرتها مخفية وراء زخرفة الروكوكو الثقيلة المحيطة بإطار النافذة .. هذه الكاميرا تبث صورة إلى جهاز تلفزيون صغير فى مكتبى ، مع إمكانية التسجيل طبعاً .. حافظت على بضاعة خافتة فى الغرفة تسمح برؤية ما يحدث ..

هكذا بعد ما قالت لى (عمت مساء) ، قضيت عدة ساعات ممتلة فى غرفة مكتبى أرشف الشيكولاته الساخنة وأتأمل الشاشة ، حتى شعرت بأن عيني زائغان وأنى يمكن أن أرى الإسكندر الأكبر نفسه على الشاشة .. أعتقد أننى سأنام ..

حدث الشيء فى الرابعة صباحاً ..

رأيت بوضوح تام باب الشرفة الذى كان موصداً يفتح .. ثم رأيت ذلك الظل يدخل الغرفة .. هكذا زال النعاس من عيني ووثبت فى مقعدى ..

فى البداية اعتقدت أننى أحلم ، لكنى رأيته بالفعل يدنو من الفراش ويقف جواره ..

كان مبهماً فعلاً فلم أدر كيف يبدو ، لكن يمكن أن أقول لك بضمير مستريح أنه لم يكن يتدثر بعباءة سوداء مبطنة بالأحمر .. لم يكن يبدو كمصاصى دماء (هامر) إياهم ..

سأعترف لك أنني فقدت حكمتي ..

كان من المفترض أن أراقب المشهد حتى نهايته .. أو إذا تجردنا من البرود العلمي أوقف (جراهام) رئيس الخدم الوفى ..

لكنى لم أفعل .. كنت أريد أن أكون هناك والآن ..

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية مخيفة ، فلتجه للفصل رقم ٢١

لو كنت تريد نهاية مملة ، فلتجه للفصل رقم ٣٦

- ٢ -

طبعي أكثر من اللازم

أعترف أن (عزت) مثال جيد .. كنت أعرف هذا بوضوح عندما كانت تماثيله قريبة من الطبيعة أو تحاكيها ، لكنى لم أحب هذا النوع من الفن على كل حال .. إذا كان سيصنع نسخة من الطبيعة فلماذا لا تكفى بصنع قالب من الجص لموضوع التمثال ؟ نفس السبب الذى جعل المدرسة الكلاسيكية فى الرسم تضمحل مع اختراع الكاميرا .. هنا ظهر التأثيريون والوحشيون والسرياليون ؛ لأن غرض الاحتفاظ بصورة دقيقة للشخص لم يعد مطلوباً من الرسام .. صار عليه أن يطور رؤيته للعالم ، وإلا فإن أية كاميرا رخيصة تؤدى العمل أفضل منه بمراحل ..

أقول إن تماثيل (عزت) الأولى كانت تدل على براعته ، لكنها لم تمثل فناً بالنسبة لى .. أما تماثيله الأخيرة الأقرب إلى الحداثة فتذكرنى بالبادنجان الذى يتظاهر بأنه فاصوليا .. ربما السحلية المصابة بسرطان القولون ..

باختصار لم أحب أى عمل لـ (عزت) برغم أننى لم أكف عن اعتباره موهوباً ..

هذا رأى ومن المستحيل أن تتهمنى بالتجنى أو الافتراء ؛ لأننى أقوله بتجرد ولأن (عزت) لن يعرف أبداً أنه رأى ..

الحقيقة أننا نبالغ في الصراحة في الأمور غير المهمة .. تنافق رؤسائنا وأصدقائنا ونكذب طيلة الوقت ، فإذا تعلق الأمر برأى في عمل فنى تحولنا إلى الصراحة نتمشى على قدمين .. وصرنا لا نخشى في الحق لومة لائم .. هكذا تصير أسعد لحظات حياتنا هي اللحظة التي نصارح فيها الفنان أن عمله رديء ، ثم نعود لبيوتنا لننام شاعرين بأننا أدبنا ما علينا تجاه البشرية .. إن ثقافة المجاملة مهمة ولا بأس بها من وقت لآخر ..

★ ★ ★

هكذا عندما دعاني (عزت) لشقته كي نشرب الشاي بالصراصير ويعرض على تحفته الجديدة ، استعددت بصرخة الانبهار قبل أن أرى أي شيء .. فقط كنت أتساءل: هل يجب أن أفقد وعيى من فرط الإعجاب أم أن هذا مبالغ فيه ؟

لكن بصراحة .. لم يكن ما رأيته رديئاً على الإطلاق ..

عندما كشف الملاة رأيت تمثالاً عملاقاً معقداً .. كان في مرحلة الصلصال بعد ، وأعتقد أنه سينقله إلى حيث يصب قلباً له ..

التمثال يمثل اثنين من مصاصي دماء وفتاة يقفون في أوضاع تشريحية ممتازة .. الفتاة بثياب فكتورية وتصرخ في رعب بطريقة فكتورية كذلك ويبدو أنها أدركت الحقيقة فجأة .. بينما ينقض عليها مصاص دماء من الأمام فاتحاً فمه كاشفاً عن نابيين مخيفين ، وقد التف بالعباءة .. أظهر (عزت) براعة خاصة في تجاعيد القماش

ولا أنكر هذا .. هناك مصاص دماء يقف وراء الفتاة وقد فتح ذراعيه منتظراً تراجعها للخلف .. وعلى وجهه تعبير يمكن أن أخصه بمصطلح سوقى بعض الشيء هو (تعالى لى يا بطة) ..

الحقيقة أن المشهد هزنى .. ثمة تلك المخاوف الغامضة المتوارية في وجداننا الجمعى منذ الطفولة .. ماذا سيحدث بعد هذا ؟ لا توجد لدى الفتاة أية فرصة للفرار من أى نوع .. يسهل أن تتخيل نفسك فى هذا الموقف ..

قلت لـ (عزت) فى ارتباك :

- « راقع .. مذهل .. »

تورد وجهه وهذا نادر .. لكنى أضفت :

- « لكنه ما أغربه من موضوع لتمثال ! لن تجد من يفهم تمثالاً كهذا .. لو تشغل الفنانون بصنع تماثيل لمصاصي الدماء فلن تجد منهم عدداً كافياً لصنع تماثيل العمال مفتولى العضلات الذين يحملون المفتاح الإنجليزي ويقفون جوار فلاحه »

قال فى حجل :

- « هذا من وحي قصصك لتي لا تنتهى .. خطر لى أن هذا المشهد من الرعب القوطى سيروق لك .. إنه موضوع غير معتاد على كل حال .. »

- « غير معتاد على الإطلاق .. »

على كل حل تناولت الشاي ، ثم سألته عن خطته . قال لي إن هناك معرضاً وشيكاً سيقام في الإسكندرية وهو ينوى عرض هذا التمثال فيه .

قلت محذراً :

- « لن تفوز بأي شيء . أولاً لابد من أن تعرض واحدة من تلك السحالي المصنوعة بسرطان البروستات . لن يمنحك أحد جائزة من أجل تمثال لمصاصي دماء . ثانياً لابد من أن يسبق اسمك حرفاً (أ د) .. لو نحنك برأى لغيت اسمك في السجل المبنى في (أ . د . عزت) .. »

قال في تفاؤل :

- « أنا لا أمارس الفن كي أحصد الجوائز . أنت تحتاج إلى وقت أطول من اللازم كي تدرك أنني فنان حقيقي »

- « هذا التفاؤل يسهلني »

عدت لشقتي . وكان الوقت قد تأخر لذا بدأت أستعد للنوم ، عندما سمعت دقات هستيرية على الباب فأتجهت لأفتحه بحذر

كان هذا هو (عزت) منتقع الوجه مذعوراً .. وبمجرد أن رأى وجهي صاح :

- « لقد تحرك التمثال ! »

حككت رأسي في ملل وقلت :

- « هل تذكر قصة ذلك التمثال المخيف (ميسيا) ؟ أنت تكرر نفسك بشكل غير مسبوق . سأحتج نوقت أطول من اللازم حتى أقابل تمثالاً من تماثيلك لا يتحرك »

قال في لهفة :

- « لكنه تحرك فعلاً ! أرجو أن تتبهنى ! »

ذهبت معه إلى شققته .. ودخلنا .. خيل لي أنني سمعت باب الشقة ينغلق ونحن في طريقنا إلى الستوديو . لكنني فسرت ذلك بالريح

على قاعدة التمثال وحدث منظرًا غريبًا . الفتاة واقفة كما هي تصرخ ذعراً .. لكن مصاص الدماء الذي يقف أمامها غير موجود . هذا جعل المشهد غريباً كأنها تصرخ من شيء لا تراه هو مصاص الدماء للثاني الواقف وراءها ..

قلت له (عزت) :

- « هل أنت متأكد من أنك لم تجن وتنتزع التمثال ؟ »

- « لا .. على قدر ما أعرف .. »

هكذا رحنا نفكش الشقة بحثاً عن التمثال المختفي .. لا أثر له فعلاً . لكنني قدرت أن في الأمر لعبة نفسية ما . على الأرجح هو لم يحب التمثال لذا انتزعه ودمره دون أن يعرف ذلك . هذه الأشياء تحدث . من السهل أن تحيل تمثالاً من الصلصال إلى عجيبة من الصلصال .. أما للدعائم فيسهل تفكيكها ..

قلت له ولما لحول أن أبدو عقلاً :

- « أعتقد أن هناك تفسيراً منطقياً . التماثيل لا تتحرك تلقائياً لأن قوانين نيوتن تقول ذلك . أعتقد أنك ارتكبت غلطة ما في الصباح صنفهم أكثر .. »

ثم قدمت عرضي الكريم :

« هل تريد أن تنام عندي ؟ »

قال فى ضيق :

« لا أعتقد .. لقد صار هذا السيناريو معلاً .. سوف أقام هنا لكنى أؤكد عدم الفهم .. »

هكذا ودعته واتجهت إلى شقتى التى تركت بابها مفتوحاً فأغلقتها ودخلت فراشى .. لن ينتهى هذا السيرك أبداً .. الحقيقة أنه كان على (عزت) أن يجد بيتاً آخر .. إنما نكون ثانياً مريعاً ..

بدأت أغوص فى بركة النعاس الشبهية .. أغوص فى الفراش ..

لماذا استيقظت من نومي ؟

لا أعرف .. لكنها تلك العين الثالثة التى تظل مفتوحة ونحن ننام .. عندما فتحت عيني رأيت الردهة باضاعتها الخافتة خارج الغرفة .. استغرقت بعض الوقت كي أصدق ما أراه ..

لقد كان التمثال هناك .. وكان يتحرك .. يتحرك فى ببطء شديد لكنها حركة لا شك فيها ..

ملتقاً بعبأته التى يلف جزءاً منها على مساعده كما كان يفعل (بيلا لوجوزى) فى الفيلم الأخير الذى لم يمثله .. كان يتحرك .. كأنه يبحث عن شيء ..

إنه كفيف ! خطر لى هذا وبدا مضحكاً ، لكنه التفسير الوحيد لهذه الخطوات ..

لقد كان يتحرك فى شقة (عزت) وعندما دخلنا خرج من الباب ليدخل بابى أنا .. هذا هو تفسير الصوت الذى سمعته ..

الآن هو يقف على باب الغرفة يتحسس الباب بحركات متصلة ، إنه يدخل !

انزلت إلى الناحية الأخرى من الفراش عالماً أن قلبى يعيش آخر لحظاته للمجيدة . لو فقدت الوعي لانتهى أمرى .. كيف ينتهى ؟ لا أعرف .. لكن آخر لحظة بحسن فيها أن تفقد وعيك هى عندما تواجه تمثال مصاص دماء يتحرك !

عندما شعرت بأنه دخل الغرفة فعلاً وأنه يقترب من الفراش زحلت على يدي وركبتي متجهاً نحو الباب .. لم أنظر إلى وراء لكنى قدرت أنه بطيء وأنه سيستغرق وقتاً للحاق بى .. لن أثق فى هذا كثيراً على كل حال لأن الزومبى فى الأفلام شديدو البطء لكنهم يقبضون على البطل فى النهاية ..

الآن أنا عند باب الشقة ..

عالتجى القفل .. تباً ! هل هذا حصن (بابليون) ؟ مفتاح وقفل .. سوف أستغرق شهراً حتى أفتح هذا الشيء ..

فى النهاية انفتح فقبضت على سلسلة المفاتيح ، واستطعت الخروج إلى الليل البهارد ..

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سعيدة ، فلتحه للفصل رقم ١٧

لو كنت تريد نهاية ممسلة ، فلتحه للفصل رقم ٢٩

- ٢ -

شيانج شى

قبل أن يأتى (هن تشو كان) إلى زمنا جرب ذات مرة أن يفارق
الدير ويحوب البلاء ..

هأنذا حافى القدمين بضميرتك المتدلية على ظهرك ، وذلك الكيس
الذى تحمل فيه بقايا الخبز التى يتبرع بها الناس وأنت تجوب ربوع
التبت إن التسول طقس مهم فى البوذية ولدى النافاراي ..

الثلج ينهمر وأنت تهبط من التل لترى تلك المجموعة من
الأكواح تبحث عن مأوى برغم أنك قادر على إقناع جسدك أن
الحنس حار لكن لا أحد فى الأكواح التى تدق بابها .. برغمك
تستهى بعض الحمام والشاى بالزبد ..

إن للجسد عليك حقوق وهو لا يتنازل برغم كل شيء .

لا أحد فى القرية كما يبدو لذا تعادرها ، وتدخل الغابة القريبة .

سبل آت عما قريب ، وسوف تحتاح إلى كل ما كسبته من ثقافة
(الدكرى) كى تستطيع تحمل هذه الثيلة وسط الجليد .

تمشى وسط العابة بين الأشجار التى تدثرت بالثلج الأبيض ..
وتتذكر الأخ (مياج) :

- « الصقيع هو ما تراه أنت .. والشمس هى ما تراه أنت .. »

فلتشر بالشمس .. بالدفع . بمذاق الشاى بالزبد وحساء البصل
الصاخر

هناك مجموعة من الأشجار تمر جوارها .. يبدو أن هناك منحدرًا
وراء هذه الأشجار ..

تقترب أكثر فترى مشهدًا يجمد الدم فى عروقك قديمان بشريتان !

هناك مسكين تجمد خلف هذه الشجرة لا شك فى هذا

تهرع إلى هناك فترى ذلك البائس . كان مكسوفًا بالجليد فعلاً .
ليست طبقة سميكة لكن هذا كاف مع الطقس المريع كى يقتل
إنساناً ..

ما هذا الشيء للمحيط به ؟ إنه أرز ! أرز لزج نصف مطبوخ يتناثر
فى دائرة حوله . لقد اختلط بالثلج لكن لا شك فى طبيعته ..

إنه ينظرك . ما زال حيًا إذن . تزيل الجليد عن ملامحه

هناك حالات سود كثيفة حول عينيه .. ربما كان هذا بسبب الجوع
أو البرد .. عيناه تتابعانك بلا توقف لكنه لا يتكلم شاحب جدًا . لك
أن تتوقع هذا ..

- « لا تخف .. للزهرة الزرقاء صوف تتفكك .. »

لكنك ترى شيئًا غريبًا على جبهته ..

هناك وريقات صفراء تنتثر على جبهته .. وريقات عليها نوع من الكتابة الدقيقة باللون الأحمر .. أم بالتم ؟

ما معنى هذا ؟ يبدو الأمر كأنه طقس .. لكن أى طقس ؟

هكذا تمد يدك وتنزع هذه الأوراق .. ثم تمد يدك لتعينه على النهوض .. للمشكلة الآن أن تجد له ملوى ..

★ ★ ★

فجأة وثب هذا الرجل فى الهواء ..

وثبته كانت رشيفة أشبه بوثة للقط ولابد أنه دار ثلاثة أرباع دائرة حول نفسه ..

فجأة رأيته يقف أمامك ..

لقد ارتكبت خطأ شنيعاً عندما ساعدت هذا الكائن .. أنت ترى الآن أنه ليس كالنا حياً بل هو مسخ .. مسخ له أبواب طويلة تتدلى من فمه وهو يزجر كوحوش الغاب ..

يتقدم نحوك .. به لا يمشى لكنه (يحجل) على ساق واحدة .. طريقة غير جميلة لكنها مجدية لأنه يقطع مسافات لا بأس بها ..

فى اللحظة الأخيرة وثب عليك فوثبت أنت فى الفضاء ودرت نصف دورة لتسقط خلفه .. عاد يحجل نحوك بتلك الطريقة وهو يصوب نحوك مخالبه لكفك وثبت من جديد . لو ظن هذا الأحمق أنه قادر على الظفر بكاهن ناغازاى أخف من الذهابة فهو مخطئ ..

هل تبدأ تساريقا ؟

ربما لم يحن الوقت بعد .. يبدو أنك قادر على تفانيه ..

من جديد هاجمك فتمرغت فوق الجليد بحيث مر من جوارك ..

فجأة رأيته يتجه نحو حاجز الأشجار ويتوارى وراءها .. ماذا يحدث هنا ؟

جريت بخفة لتلحق به ، فوجدته على ركبتيه ينحنى على جسد آخر ممد على الأرض .. ويبدو أنه ينتزع تلك الأوراق من على جبهته .. هناك آخرون إذن ! ويبدو أن هذه الأوراق للصفراء هى القيد الذى يقيهم مكبلين .

نظرت وراء شجرة أخرى فرأيت اثنين آخرين !

لا وقت للفهم .. يجب أن تفر وأن تبحث عن يعرف معنى هذا .. هؤلاء سوف يوقفون بعضهم ما دمت أنت قد بدأت الخيط ..

يجب أن تفر إلى القرية وتبحث عن ملهم ..

هكذا رحلت تركض بسرعة لا تصدق قاصداً القرية التى مررت عليها من قبل .. لا يمكن أن يكون الجميع قد هجرها .. لابد من كوخ واحد مسكون ..

فتشت كوخين فتلاثة فلم تجد شيئاً ..

لكنك وجدت شيئاً غريباً فى الكوخ الثالث ..

كنت هناك جثث متجمدة لأسرة كاملة . من الصعب معرفة سبب الوفاة ،
لكن العلامة المقلقة هي أنه لا توجد جثة إلا وقد انتزع أحد أطرافها ..

أنت الآن خائف ..

حتى كاهن السافاراي يخاف .. لأن ما لا تعرفه مرعب دائماً ..

في الكوخ لسلس فوجئت بأحياء .. تلك المرأة المذعورة وطفنها والعجوز
ذى اللحية الكثيرة البيضاء .. كانوا يشعلون ناراً .. وهذا هو المهم

ما إن دخلت الكوخ حتى طار إزاء معدني في وجهك ، لكك التحيت
في الوقت المناسب ليمر الشيء جوارك وبصرى الجدار ، ثم سمعت
العجوز بصيح :

« دعيه يا (فونج لي) .. إنه ليس منهم ! »

هزرت رأسك ودخلت الكوخ وأبرزت لساتك لهم كما هي التحية
هنا .. من ثم صبت لك المرأة سلطانية من الشاي بالزبد وقدمتها
لك .. بلا أية كلمة ..

لم فرغت من الاحتساء رفعت رأسك . مدت يدها تضع في يدك
سلطانية بها أرز مطبوخ فبدأت تكله بأفمك .. مذاقه كريه لكنه
ساخن على الأقل .

قال العجوز :

« القرية كلها هلكت .. لقد هجمها (الشياتج شى) . لم يبق

سوانا »

رفعت حاجبك متسائلاً فقال العجوز :

« هناك روحان في كل جسد .. الروح الشريرة تدعى (باي) . لو أن
الإنسان مات ميتة عنيفة شنيعة ، أو لم يدفن بالسرعة الكافية ،
أو استطاعت الحيوانات أن تعث بقبوره ، فإن الروح الشريرة تسيطر على
الجسد ويتحول إلى (شياتج شى) . لو مر قط على رأس الميت فإنه
يتحول إلى (شياتج شى) . إن الشياتج شى يمتصون دماء الأحياء
مئیسون فلا يقدرّون على المشي لذا يتوششون وثناً قوتهم لا تصدق لذا
يقدرّون على انتزاع قدم أو ذراع ضحاياهم * »

« أنا هاجمنى (شياتج شى) »

« وظللت حياً * لا أحد يقدر على مواجهتهم إلا كهنة (التلو) ** »

إنهم يكتبون تعاويذ معينة بدم الدجاج على ورق أصفر يلصقونه بجهة
(الشياتج شى) اسمها (فو) ومعناها (الحظ الحسى) بنعة
للمقدارين . لو وجدت أحدهم فليك أن تحرب نزع هذه الأوراق لأنها تجعلهم
مشلولين عاجزين عن الحركة . يقولون إنه لو طارتك (شياتج شى)
فعليت أن تكنم نفسك عندما لا يشمون رائحة أنفاسك فإن يجدوك
الثوم يصلح وكذا الأرز النرج نصف المطبوخ »

(*) سطورة صينية حقيقية كل شعب لديه قصص مصاصى الدماء الخاصة

به . وهؤلاء هم مصاصو الدماء الصينيون ..

(*) المجال ليس مناسباً للكتابة بالتفصيل عن القويّة Taoism لكنها عقيدة

صينية مهمة تتبع من يدعى (لاو تزو) ..

« وكيف يموتون ؟ »

« (الشياطين شئ) موتى فعلاً أيها الفتى فلا توجد طريقة لقتلهم .. نحن استعنا بكاهن تلوى جاء القرية متأخراً بعد ما هلك الجميع .. لكنه انطلق إلى الغابة بطارد تلك المخلوقات .. اعتقد أنه فشل ما دمت قابلت بعضهم .. »

تفتح فمك لتفسر لكنك تسمع دقات عذبة على باب الكوخ .. ويقول العجوز وهو يرتجف :

« .. لقد عادوا !!! »

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية مخيفة ، فلتحه للمصل رقم ١٢

لو كنت تريد نهاية ممتدة ، فلتحه للمصل رقم ٣٣

« - »

طالعتنا

لم تكن (ماجى) ممن يؤمنون بالعرافين .. وكنت أنا مثلها ..

والسبب ؟ لا تعتمد على منطق معين ، ولكنه ذلك الاتفاق المطلق بيننا فى الطباع . يكفى أن أعرف عن نفسى لئنى أكره كذا أو أحب كذا . حتى أعرف تلقائياً إنها تؤمن بذات الأشياء . تشابه غريب محير حتى إنى كنت أقساعل عما إذا كنت هى نسختى الجينية جاءت من بعد آخر .. يقولون إننا كنا خلية واحدة فى جسد أحد الجدود يوماً ما ..

لكننا فى تلك الليلة كنا شاهين مفعمين بالحياة والرغبة فى المرح ، وكنا عاتدين من نزهة طويلة فى الملاهى فى مدينتها ..

طبعاً لم تعرفونى بوضوح . هذا أنا .. أقرب للوسامة والشباب مع كثير من التجاوز وهناك شعر على رأسى برغم كل شئ .. هكذا كنت أبدو فى تلك الأيام من خمسينات القرن العشرين .. أما هى فأنتم تعرفونها .. لم ولن تتغير أبداً .. إنها الأنثى الخالدة . إنها الأميرة النائمة أو سندريللا التى لا تشيخ أبداً . نقرأ قصصها ونحن أطفال ، وشيخ فنتفتح ذات القصص لنجدها كما هى .

بعد ما قمنا بهذه الجولة فى الملاهى كنت أشعر بالخجل لأننى لم أجلب لها أية هدية .. فى الأفلام يكون العاشق فارماً لا يشق له غبار بفوز بكل الألعاب .. وكلما فاز بشئء أهدها لحبيبته . أما أنا فلم أظفر بشئء على الإطلاق لذا ابتعت لها بعض الفيشار ..

قالت لى هامسة والبخار يتصاعد من قمها :

- « إلى الأبد ؟ »

- « ماذا ؟ »

- « ستظل تحبني إلى الأبد ؟ »

قلت صادقاً :

- « وحتى تحترق النجوم .. وحتى .. »

ثم توقفت لأنى رأيت شيئاً غريباً ..

كانت تلك الخيمة الفجرية فى طريقنا نحو بوابة الخروج ..

لافتة كبيرة على المدخل تقول (مدام بلافاتسكى) .. هكذا بلا أية تفاصيل أخرى أو وعود ..

قلت لـ (ماجى) ضاحكاً :

- « النصب يبدأ من هنا .. مدام (بلافاتسكى) عرافة روسية كبيرة لها مؤلفات وأتباع .. لن تفتح خيمة فى الملامى أبداً . إذن النصب يبدأ من الاسم الذى اتخذته ويدل على نقص فى الخيال .. »

ضحكت وتأبطت نراعى وملأت قمها بالفيشار من الكوب الكبير الذى أحمله ..

مررنا أمام الخيمة ، وألقينا نظرة على الداخل من وراء ستار موارب .. كانت الخيمة مظلمة لكن تباشرت فيها شموع معلقة على

شمعدانات .. ووقعت عيني على المدام الجالسة بالداخل .. توقعت أن لرى عجوزاً بارزة العظام لها سمت الغريبان تربط رأسها بمندريل عجرى مزركش .. لكن عيني وقعت على امرأة بدينة لطيفة لها عينان مليئتان باللف والحنان مع لمسة مكر محبة كمكر الأطفال ..

كانت جالسة إلى قنطرة دائمة لتى توجد عليها بنورة سحرية .. وهناك كتاب سميك غليظ . وعلى كتفها الشال التقليدى الأبدى ..

قلت (ماجى) فى دلال :

- « تعال نلق نظرة .. سيكون هذا رائعاً .. »

- « لقد تأخرنا على أببك .. يجب أن نعود .. »

لاحظ أن أبها (أرشيبالد ماكيلوب) لم يكن أبها فقط ، بل كان أستاذى والمشراف على رسالتى .. والقادر على خراب بيتى فى أية لحظة . لقد توفى الرجل منذ زمن لكن هيئته لم تفارقنى قط ..

قلت ملحة :

- « أرجوك دعنا نلق نظرة . سوف يبدو الأمر شاعرياً . إنها ستكوننا عن مستقبلنا معاً .. هذا يبدو جميلاً »

هكذا لم يعد بوسعى أن أقاوم أكثر ..

دخلنا الخيمة فى حذر .. فقابلنا العينين الصافيتين الوداعيتين لتلك المرأة .. قالت لنا بصوت يتفق مع وجهها :

« شابان متحابان .. هذا جميل .. وإن كنت أعتقد أنك من الشرق يا سيدى .. قوم عاطفيون هم .. والآن هل ترغبان فى قراءة كف لم الكرة السحرية أم هى أوراق التاروت ؟ »

قالت (ماجى) فى مشاكسة :

« هل يمكن أن نجرب شيئاً من كل شيء ؟ »

عقدت العرافة يديها أمام ذقنها فى شغف وقالت :

« سأقدم لكما خدمة من نوع خاص .. سوف أقرأ لكما التاروت بطريقة خاصة .. طريقة (كراولى) .. »

لم تكن وقتها مهتمة بهذه الأمور وبالتأكيد لم تكن سمعت اسم للعين (ألستر كراولى) قط .. (كراولى) أشهر سحرة القرن العشرين ، والذي ربط بينه البعض والشيطان ذاته .. فيما بعد عرفت أن الرجل ابتكر طريقة شيطانية لقراءة أوراق التاروت وقد اشتهرت باسمه ..

طلبت منا السيدة أن نقوم بخلط الأوراق ونحن نتأمل فى ذواتنا ثم بدأت توزعها بتلك الطريقة التى عرفتتها فيما بعد ..

قالت وهى تتأمل الأوراق :

« متحابان نعم .. صادقان .. »

نظرت لـ (ماجى) وابتمتت .. لعلنا بحاجة إلى مدام (بلافتسكى) لتخبرنا بهذا . حالة التناغم هذه التى وصفها الشاعر العربى العبرى : « وأحبها وتحبنى ويحب نافتها بعيرى »

قالت المدام ، وقد بدا القلق على وجهها :

« لكن هذا الحب مهدد بالانتهاء .. لا أريد أن أشير ذعركما لكن الخطر قريب جداً .. ربما هذه الليلة بالذات .. خذا الحذر .. »

قالت لها فى خبث :

« هل يتعلق الأمر برجل طويل أسود غامض ؟ »

قالت دون أن تبتمم :

« نعم يتعلق برجل . لا . بل يتعلق بامرأة .. امرأة لا أرى وجهها بوضوح . أعتقد أن أحدهما لن يرى النهار ! »

« ألا ترين أنك تفصيننا بالتفؤل ؟ »

« وهذا يدل على فنى صلاقة .. هناك فرق بين العراف الذى يخبرك بما تريد أن تسمعه والعراف الذى يخبرك بما يجب أن تسمعه . »

قالت (ماجى) بلهجة غير المصدق الذى بدأ الأمر يروق له :

« وبم تتصحيننا إذن ؟ »

« بلحذر ! »

« هذا مفهوم .. لكن أى نوع من الحذر ؟ »

صممت المرأة وكنت أتوقع هذا . هذه هى اللحظة التى يصمتن فيها .. وهكذا دفعت لها أجرها الذى لم يكن باهظاً وانصرفنا .. فقط تذكرت أن أسألها :

« لماذا اخترت اسم (بلافتسكى) ؟ »

أخرجت لفافة تبغ وقالت فى غموض :

« ربما كنت هي ! »

ومشينا فى الشوارع المظلمة أنا و (ماجى) .. لم نعط أهمية كبرى لهذا الكلام ، لكنه ترك فى حلوقةنا شيئاً مريباً غامضاً .. سمه التشاؤم إذا شئت ..

الآن نمشى فى ذلك الطريق المظلم الذى يمر بمحاذاة الغابة ..

لا أدري متى ولا كيف سمعنا الصراخ .. صراخ امرأة تركع على ركبتيها إلى جانب الطريق ولا تكف عن العواء ..

دنوت منها لأبين ما بها ، وهرعت (ماجى) من خلفى .. إنها سيدة فى الأربعين لها وجه طويل ناحل وشعر أسود .. معطفها يوحى بالثراء بلا شك ..

قالت المرأة وهى تغطى وجهها :

« (دانييل) ! (دانييل) ! »

« من هو ؟ »

« ابنى الصغير ! لقد شعر بحاجة إلى تنبيه الطبيعة ، فدخل الغابة .. وانتظرته هنا .. مرت دقائق طويلة ولم يعد .. إبنى حائرة .. بحثت عنه وناديت له لكنه لم يظهر .. إنه ضائع فى الغابة ! »

نظرت إلى العابة المظلمة وشعرت بقشعريرة .. موقف فى منتهى السوء فعلاً ..

احتضنت (ماجى) للمرأة وقالت لى بلهجة أمرة :

« (رفعت) .. سألنى معها هنا .. حاول أن تجد الصغير »

أجده ؟ كيف ؟

ثم عاد ذلك المذاق الكريه الباقى فى حلقى .. أحذركم لن يرى النهار .. فمن ؟

هل من الحكمة أن أتركك مع هذه السيدة التى لم نرها من قبل ؟ وهل من الحكمة أن أصر وحيداً ؟

لو وصفنا الأمر بدقة لقلنا إننا نتصرف بأبعد ما يمكن عن الحذر ..

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية مخيفة ، فلتحه للمص رقم ٢٠

لو كنت تريد نهاية مملة ، فلتحه للمص رقم ٣٢

- ٥ -

نداء (ساوين)

يرفع السيد (جوردان) رأسه الذى تطواه العوينات ليتأمل تلك الشابة الرشيدة التى تدخل المكتبة .. لم تكن شابة حسناء بالمعنى الحرفى للكلمة ، بل لها ذلك السحر الغامض الذى لا تعرف مصدره .. لو أمسكت بورقة وقلم وحاولت أن تدون أسباب جمالها لفشلت ، لكنه موجود وساحق ..

كانت شقراء نحيلة فارعة الطول .. ترتدى معطفاً ثميناً من الجلد ، وساقاها فى حذاء ذى رقبة يزيدان طولاً .. وكانت على وجهها ضحكة قلما تزول ..

قالت له بلهجة أسكتلندية مهذبة :

- « أبحث عن بعض الكتب القديمة .. كئيب تتعامل مع الثقافة الدرويدية Druidic .. »

هز رأسه فى فهم . ثم قجه إلى الصندوق الذى يضع فيه الكتب القديمة ، وأثزل العوينات على عينه وراح ينقب .. سألها وهو يبحث :

- « هل تدرسون التاريخ ؟ »

- « أنا أدرس الفيزياء بالجامعة ! »

- « هذا اهتمام غريب إذن هناك كتاب لا بأس به .. »

وأخرج كتاباً ما إن رأيته حتى عرفت أنه هو .. لا شك فى هذا .. مثلاً تقابل فتاة أحلامك فجأة فتعرف أنها هى .. كتاب غليظ له غلاف جلدى سميك وعليه نقش بارز لشعار لم تره من قبل .. يمكنك أن تتصور أن هذا الغلاف يحمى أسراراً بالغة الإمتاع ..

قال لها :

- « هذا الكتاب يتعامل مع كل الأساطير الدرويدية .. إنك سوف .. »

- « شكراً .. شكراً .. سأأخذه ! »

ودفعت ثمنه ثم طارت محلقة خارجة من المكتبة .. ظل يرمقها حتى توارت بالخارج ثم تنهد .. لم يعد من حقه أن يحلم بقلب فتاة كهذه .. لابد أن هناك حماراً ما فى مكان ما سوف يفوز بقلب هذا الغزال الرشيق المثقف شديد الرقى ..

★ ★ ★

الحمار كان لنا طبعاً ..

وكنيت فى ذلك الوقت فى أسكتلندا غارقاً فى مشاكل مع الدكتوراه .. أتلقى توبيخ أستاذى العظيم (أرشيالد ماكيلوب) فى الصباح ، وأخلق فى سموات الحب مع ابنته فى المساء .. الابنة تحبنى والأب يلومنى .. لكنى سعيد .. من المريح أن تعتبر رئيسك (أونكل) فهذا يجعلك تتحمل أى شيء ..

عندما التقينا أنا و (ماجى) فى القصر تلك الليلة جلسنا فى البهو ، بينما (جراهام) يقدم لنا العصير ..

قالت لى وهى تضحك تلك الضحكة التى تغمر العالم بالسحر :

- « كل علم وأنت بخير ! »

لهذا يمكنك أن تفهم سبب أننى لا أذكر متى حدث هذا . صار على
كى أتذكر يوم مولدى أن أتفحص البطاقة الشخصية .. كان هذا عيد
ميلادى الذى لم يتذكره أحد فى الكون سواها .. ولأسباب ستعرفها
حالا أنا متأكد أننا لم نكن فى الخريف .

مدت يدها لى بالكتاب ..

لم يكن لى أى اهتمام بالأساطير فى ذلك الوقت ، ولم أكن أعتقد فى
وجود أى شيء غير مادى لذا بدا لى هذا الذوق غريباً ..

قالت لى :

- « التسلية .. هذا ما أضمنه لك . نرى أنه كتاب ممل »

فتحت الكتاب وبحثت أتصلحه . معتقدات قبائل الكلت هذه .. ما
زلت أخلط بين الكلت والسلت والجرمان والنورديين . لقد كان شمال
إنجلترا فى ذلك الزمن القديم أشبه بمنطقة الترانزيت فى مطار كبير ..
كل الجنسيات هنا ومن شبه المستحيل أن تعرف من ينتمى لملأ ..
ذلك العجين الذى خبزته نيران الحروب فولدت اللغة الإنجليزية

كانت بطانة الغلاف مميكة .. تحسستها بىدى فوجدت شيئاً
عجيباً .. ثمة شيء هناك تحت البطانة ولا شك فيه

بأنفارى مددت بىدى أنتزع البطانة مستعيناً بطرف منقعة الشاي ،
فصاحت (ماجى) محتجة :

- « توقف ! هذه هديتى ! »

لكنى كنت قد أخرجت الشيء .. إنه قرص من المعدن . نحاس
تغير لونه نقش على شكل زخرفى شديد الإتقان .. وهناك كتابة بخط
دقيق جداً ..

قلت لها :

- « هل ترين ؟ لابد أن هذه تساوى ثروة .. »

لمسكت (ماجى) بالقرص وراحت تدقق ، ثم قالت :

- « لا أستطيع قراءة حرف واحد . فقط هناك كلمة واضحة هى
Samhin .. يجب أن أعرض هذه غذا على رئيس دائرة التاريخ
بالجامعة .. »

- « أوجو أن تعطى ذلك فلانا متحمس .. »

فلتها طبعاً بالملل الشديد الذى عرفت به ، وأفرغت كوب العصير
فى بطنى ثم أوشكت على النهوض . لكنها ركضت إلى الطابق
الغوى وخلال ثابيتين كانت قد عادت حاملة عدسة وقلما من
الرصاص وورقة .. وفى خلة راحت تمرر طرف القلم مائلاً على
الورقة التى ألصقتها بهذا الشيء .. بدأت النقوش تظهر بشكل أوضح
على الورقة ..

وضعت العدسة على عينها ، وراحت تقرأ بصوت عال تلك الحروف .
لكنها لم تفهم شيئاً على الإطلاق .. هذه دعاية أو لغة منقرضة .

فى النهاية راحت تردد :

- « (سامهين) .. »

ثم توقفت وقالت وقد تذكرت شيئاً :

- « الكلت كانوا ينطقون MH كأنهما حرف الواو . إذن الاسم ينطق (ساوين) .. (ساوين) .. هذا الاسم مأثوف »

لحاجة انقطع التيار الكهربائى !

سمعت (جراهام) يصبح متسائلاً ، ثم ظهر بعد دقيقة حاملاً شمعداناً وضعه على المنضدة أمامنا وقال بلهجته الراقية التى تلتف حول المعانى حتى توشك على إزهاق روحك :

- « اعتقد أن العطل مؤقت يا سيدتى الصغيرة .. شكراً لله أن سيدى ليس فى القصر هذه الليلة .. »

- « شكراً يا (جراهام) .. هل لك أن تشعل النار فى المدفأة ؟ »

- « سيكون هذا من دواعى سرورى يا سيدتى الصغيرة لو سمحت لى بأن أقول هذا .. »

عندما انصرف الرجل قلت لها فى عصبية بنى لا تشعر بأية راحة لهذا الانقطاع المفاجئ .. إن توقيت المصافحات لا يتم بهذه السلاسة ..

قالت باسمه وهى تتصفح الكتاب على ضوء الشمعة :

- « سوف تبين الأمر حالاً .. »

ثم قالت بصوت قلق وهى لا ترفع عينها عن إحدى الصفحات :

- « (ساوين) .. (ساوين) .. ها هو ذا .. إله الشمس عند الكلت .. فى الخريف كان الكلت يحتفلون بالليلة التى يستدعى فيها أرواح الموتى ، وكان هؤلاء يبحثون عن أجساد الأحياء ليسكنوا فيها .. فى هذه الليلة بالذات تتلاشى الحواجز بين العالمين ، ويصير الموتى قادرين على افتتاح البيوت ، لهذا كانت القبائل تطفئ كل نار فى البيوت ويغادر الناس بيوتهم ليبتوا فى الخارج حول نيران الخلاء .. هذا هو عيد (الهالوين) الذى قرر البابا (جريجورى الرابع) عام ٨٣٤ ميلادية احتواءه ليضمه إلى المسيحية .. وبهذا لم يظل عيداً وثنياً .. وصار مناسبة لتذكر القديسين أطلقوا عليه اسم All Hallows even . أى (الليلة التى تسبق يوم كل القديسين) . »

ثم رفعت عينها الفلقة نحوى وقالت :

- « (رفعت) .. إلى أى حد تعتقد أن هذه التعويذة التى نطقت بها تستدعى (ساوين) ؟ ألم تفكر فى ذلك ؟ »

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية مخيفة ، فلتجه للمصل رقم ٢٣

لو كنت تريد نهاية ممسكة ، فلتجه للمصل رقم ٢٦

-٦-

جاليري

فيما بعد عرفت أن (عزت) قد وجد هذه القاعة الصغيرة في ذلك المعرض الكبير في الزمالك ..

كانت أمسية مطيرة وقد خلت الشوارع من العارة ، وكانت أضواء الجاليري الكبير مضاءة فقرر أن يدخل على سبيل التثقيف الفني من ناحية ، وعلى سبيل اتقاء المطر من ناحية أخرى

كان المكان خالياً تماماً .. لا شيء إلا قاعات واسعة علفت على جدرانها اللوحات .. ولم تكن ذات تميز خاص .. لا يدري إن كان هذا بسبب تعكر مزاجه أم لأنها لوحات غير مميزة فعلاً .. البطة والنهر والفلاحة المصرية وإيزيس .. الفن المعتاد .. لا بأس بلوحة تكهنية هنا أو هناك ولكنها رديئة تحاول تقليد (بيكاسو) فتنجح في تقليد (عبد الفتاح القصري) ..

لا صوت إلا خشب البلكيه الذي يحدث صريراً تحت حذفه ، وصوت الأمطار بالخارج .. الدفء الناعس يغريه بالنوم .. كان في طفولته لا ينام جيداً إلا إذا تدثر بالدفء وحلم بالبرد القارس بالخارج ..

كانت هناك فتاة تجلس جوار دفتر عملاق ، وقد وضعت قلمها مربوطاً بخيط بين دفتيه ، فتناول القلم وكتب بضع كلمات يوافق بها الفنان ..

ثم راح يمشي في الممرات حتى وجد حديقة أنيقة .. اجتازها وهو يضم يافته ويدفن رأسه في درقته كالسلحفاة ..

كانت هناك قاعتان صغيرتان .. إحداهما تحوى بعض الأعمال بالحبر لشينى .. أعمال غير متميزة كُرب إلى القبح .. القاعة للصغيرة الأخرى كانت متوارية وراء بارافن وقد علفت عليها لافتة تقول (الفنان علفت للشرشابي) ..

مد يده المتجمدة إلى المقبض وجرب فتح الباب فالتفت ..
غريب هذا !

تتعامل إدارة الجاليري مع هذا المعرض في سرية تامة كأنه عار .. لا بد أنهم يحملون ألعن المشاعر لهذا الفنان بالذات .. لا أحد يلقى باب المعرض ببارافن إلا لو كان يمقت الفنان ..

الغريب أن اللوحات كانت قطعة من الفن الرفيع ..

★ ★ ★

كان الأسلوب فريداً من نوعه .. هناك مزج أستاذي للألوان مع لمحة واضحة من المدرسة التأثيرية .. وكانت اللوحات صغيرة متماثلة الحجم .. تقترب أبعاد اللوحة الواحدة مع الجريدة اليومية لو طويتها نصفين .. في الحقيقة لم يكن ما في اللوحات من فن هو المهم ، بل هو ما لم نقله هذه اللوحات .. ثمة قصص سمعها فتبهرك لأنك تشعر بأن لدى الشاعر الكثير جداً مما لم تقاله القصيدة .. كان

هذا شأن اللوحات ، فهي لم تحو كل الروعة التي تخبرها فيك .. لو أنك وزنت ما في اللوحة من فن بالجرام لوجدت أنه قليل .. بينما اللوحة نفسها تزن أطناناً ..

الحقيقة أن (عزت) لم يشعر بشيء مماثل من قبل إلا أمام لوحة (الصرخة) لـ (مونش) .. مجرد لوحة بسيطة جداً وبسهل أن تقلدها لكنها تحوى أضعاف ما يبدو على سطحها ..

وقب يشاهد هذه الروعة ولم يشعر بأن هناك من يقف وراءه منذ بقلبي ..

فقط شعر به عندما شم رائحة التبغ (والتدخين كان ممنوعاً في هذا الجاليري) ..

نظر إلى الوراء في ذهول فوجد رجلاً نحيلاً فارح الطول له شارب رفيع وعينان عميقتان مخيفتان . عينان تشغلان نصف الوجه تقريباً بحيث تنسى إن كان للرجل أنف أم لا ..

كان الرجل يضع لفافة تبغ بين شفتيه ويتأمل ذات اللوحة في نهم ثم نظر إلى (عزت) وقال :

« أعجبنيك ؟ »

« أنا مذهول .. »

قال الرجل :

« إنني سوف تكتب لي كلمتين في دفترى . أنت رجل ذواق وتستحق مكافأة صغيرة .. »

سأله (عزت) مرتبباً :

« إذن أنت .. أنت .. »

« (عفت الشرشابي) .. نعم .. لنقل إن هذا اسمي . مؤقناً ! »

« هل درست الفن ؟ »

« درستته في كل مكان تقريباً .. »

هل قال الرجل : (لنقل إن هذا اسمي . مؤقناً !) ؟ ما مضى هذا ؟ غريب جداً ..

اتجه (عزت) ليكتب كلمتي مديح في الدفتر ، فقال له الرجل وهو بهم بمغادرة المكان :

« أتصحت أن تتأمل اللوحات جيداً إنها مفيدة لك فعلاً .. »

ثم غادر المكان .. شعر (عزت) بغربة هذا كله . هناك قدر لا بأس به من الغرور لدى هؤلاء الفسطين ، لكن لا بأس .. طيلة اليوم يقابل أشخاصاً تسافهين خالين من أى شيء سوى الغرور .. فليقبل الغرور مرة من شخص موهوب ..

انتهى من كتابة التطبيق ، ثم عاد يتأمل اللوحات ..

كانت اللوحة الأولى تمثل شاباً نحيلاً أسمر يمشى تحت الأمطار وهو يدارى رأسه في سترته كدرقة السلحفاة اللوحة الثانية تظهر ذات الرجل النحيل يقف وسط لوحات معلقة على جدار ويكلم رجلاً نحيلاً أسمر ذا شارب وعينين عميقتين ..

هناك لوحة تمثل ذات الرجل النحيل (رقم ١) وهو بدون كلمات في لفتر ..

تتبع اللوحات .. هناك لوحة تظهر الرجل ينزلق وسط الأوحال بينما كشافات سيارة قادمة من بعيد .. في لوحة أخرى يرى الرجل النحيل يقف مع امرأة حسنة تحت الأمطار .. في لوحة أخرى يرى ذات الرجل النحيل وهو يصرخ هلعاً بينما أمامه وحش مربع هذا الوحش يتحرر من وجه ممزق لفتاة جالسة كأنه كان يتوارى خلف قناع وجهها ..

هناك لوحة تظهر النحيل يجري خائفاً .. ثمة لوحة تظهره على الأرض جثة ممزقة والكلاب تلتهمها .. هناك لوحات ناقصة .. أي أن مكانها موجود لكن يبدو كأنها بهت أو رفعت .

ما معنى هذا ؟ يبدو أقرب إلى فن الشرائط لمصورة (سترييس) .. لماذا يحب الفنان هذا الموديل النحيل الأسمر القبيح ؟ (رينولدز) لم يرسم تقريباً سوى طفلة حسناء واحدة في كل لوحاته .. لكن هناك فارقاً بين الموديلين ..

وفجأة قطن (عزت) للحقيقة ..

هذه اللوحات تظهره هو نفسه ! أول ثلاث لوحات قد مرت به فعلاً خلال ربع ساعة !

★ ★ ★

حينما غادر الجاليري كان متوتراً بحق ..

تمنى لو قابل ذلك الفنان ليشرح له كل شيء لكنه لم يره ..

حينما خرج إلى الشارع لم يكن المطر قد انقطع ، فرفع سترته إلى أعلى عنقه وهم بالعبور .. فقط لتتزلق قدمه في بركة ماء على جانب الطريق ..

وجد نفسه ينزلق .. وفي ذات اللحظة رأى كشافات سيارة مسرعة قادمة نحوه ..

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سعيدة ، فلتوجه للفصل رقم ١٦

لو كنت تريد نهاية عملة ، فلتوجه للفصل رقم ٢٨

-٧-

إنه يتحرك !

كل تجارب (عزت) تستحق الذكر .. إن هذا الذئب المتوحد غريب الأطوار لا يقابل أبداً شيئاً معتاداً أو معلاً ..

بدأ كل شيء فى تلك الليلة السوداء التى نرى فيها بلهى فى عصف ، ففتحت وأنا لجفف نفضى التى كنت لألقها .. رأيت شلحاً أكثر من المعتاد يرتجف هلعاً وقد راح يذرع مدخل شفتى فى دوائر متصلة كذئب حبيس ..

- « لعله خير ؟ »

قال وهو يرتجف :

- « يجب أن تأتى معى حالاً . هات أدوات الفحص وتذهب .. »

فهمت أن الأمر يتعلق بمرض . لكن من ؟ هل لـ (عزت) أصدقاء ؟ سيكون هذا شيئاً فريداً من نوعه . هكذا استقلنا سيارتى وانطلقنا فى شوارع القاهرة الغاشية .. كان الضوان الذى يقصده فى حى المهندسين ، وفى الطريق القصير قال لى :

- « تعرف أنتى لم أعد أحترم أحداً . لكن هذا الرجل من آخر الرجل المحترمين .. الجيل الذى انقرض أو كاد ، وهو يعتبرنى ابناً له .. لن أتحمل أن يحدث له شيء .. »

قلت له فى لطف كى ينسى مخاوفه :

- « كلنا منموت يوماً ما .. »

فاستبد به الغضب وضرب (تابلوه) السيارة بقبضته صائحاً :

- « يا لخي .. قال الله ولا فائدة .. »

كان هذا كافى كى لا يموت الرجل . هكذا أثرت الصمت ..

كنت بنية ذيفة فلخرة تلك التى دخلتها فى هذه الساعة المتأخرة ، ولم يكن هناك بواب .. ركبنا المصعد إلى الطابق الخامس ، ثم توجه (عزت) إلى شقة وسط غابة من نباتات الظل فعالج قفلها بالمفتاح .. هكذا فهمت أن نباء الروحي هذا يتقن به فعلاً ..

نحن الآن فى شقة واسعة يبدو أن الفنان ديكور موهوباً اعتنى بها . لكننى كنت أجن عندما فهمت فعلاً مدى عبقرية هذا الفنان . لقد كانت مقسمة إلى قطاعات .. قطاع منها عبارة عن ادغال بأشجارها ، وديكور لينبوع ماء يتدفق ويمسى قردة ووحوش متناثرة .. قطاع عبارة عن خيمة عربية بطافس و(دلة) ومباخر وتمثيل لراقصات شرقيات وعازف عود . قطاع عبارة عن عالم فضائى كامل بجدران سود تنتثر فيها مصابيح كأنها النجوم وأرضية تذكرك بسطح القمر . ثم لى الباقي لكن أفقدنى ما رأيت صوابى .. ما كل هذا الشراء ؟ الشراء الذى يسمح لك بتحقيق حلم طفولى غال كهذا . امتلاك (ديزنى لاند) فى شقتك فى هذا المكان لن تشعر بالملل أبداً .. سوف تمضى ثلاثة أيام فى عالم الفضاء وثلاثة أيام فى جو البازار الشرقى وثلاثة أيام وسط مخاطر الأدغال .. الخ .

قلت همسًا : (عزت) :

« صاحبك هذا سيكون أحمق لو مات ! من يترك هذه الروعة أحمق .. »

قال وهو يتقدم وسط الأحراش :

« إن (أنيس الفخراني) رجل ذو خيال .. وهو لا يتوقف عند حد في سبيل تحقيق ما يحلم به .. هذه نعمة عدم الزواج . أنت تجد معك مالا .. ثم إنه قد صمم أكثر هذا بنفسه .. »

غريب هذا ! لم يلحظ أننا لم نتزوج ومع ذلك نحن مطمئن كالأمميا ..

فقط كان هناك جدار يختلف عن الآخرين .. كله قبح وقذارة .. وقد ألصقت صحف قديمة على بقايا صمغ . وكان هناك مرحاض حقيقي عليه صراصير مينة (اعتقد أنها محنطة) .. مرحاض في الصالة ؟

أخيرًا وسط الأحراش نجد تلك الخيمة التي يفمرها ضوء أزرق كضوء القمر .. ننحني للدخل فترى ذلك الفراش الذي يرقد عليه شيخ في السبعين كثر الحاجبين محتقن الوجه له لحية من الطراز الذي يحبه الفنانون .. كان ضامرًا جدًا حتى إتني قدرت وزنه بأربعين كيلوجرامًا .. لو لم يكن مصابًا بسرطان فأننا لأهل من دابة ..

قال (عزت) كلامًا كثيرًا على غرار (هذا هو رفعت .. إنه بارع .. سوف يتمكن من .. الخ) .. فهز الرجل رأسه في وقار وقال :

« لا اعتقد أن كل أطباء الكرة الأرضية قادرون على عمل شيء . لكن دع صديقك يجرب ! »

كنت لكنته أقرب إلى الأجنبية ، وقدرت أنه من الفنانين الذين قضوا أكثر حياتهم بالخارج حتى نسي العربية أو كاد ..

فجأة تذكرت أنني لم أعرف في أي شيء هو فنان .. هل النحت أم التيكور ؟ قررت أن أسأل (عزت) فيما بعد وفحصت الرجل . كانت القصة واضحة وهو لم يخف أية تفاصيل .. سرطان البروستاتا الذي أرسله دواءة للقتلة إلى كل جزء من عظمه حتى لم يعد قادرًا على المشي ..

« يجب أن تكون في المستشفى الآن . »

« أنا قادم من هناك منذ ساعات ! »

بالطبع ليس في جعبتي ما أقدمه سوى بعض المسكنات .. هنا يفتق الطبيب حقيقته ويترك الأمر للمعالج الكيماوي أو الحاتومي .

قال وهو ينهي الأمر في نفاد صبر :

« الأمر بسيط .. أريد بعض الحقن المسكنة التي تجعل النهاية غير أليلة .. »

هكذا مددت يدي في الحقيبة فانتقيت أمبول (مورفين) وحقنته بجزء منه ، ثم قلت : (عزت) :

« يمكن استكمال الحقن كلما عاد الألم .. هذه مهمة تحتاج إلى تعريض »

« أنا سافعل .. »

وكان من الواضح أنه سيقضى بقية حياته مع الرجل حتى يموت أحدهما .. لذا قدمت له بعض التعليمات وأضفت :

« لا أريد اتصالات .. أنت مؤهل بشدة لتسببه إلى القبر مع مرضك العضال هذا .. »

وطلبت السماح لى بالانصراف ، فراح الرجل يبحث تحت الوسادة بحثاً عن شيء عرفته ، فقلت وأنا أتجه للباب :

« لن أتقاضى أجراً .. أنت صديق (عزت) »

وعلى الباب ودعت (عزت) ثم سألته عن نوع الفن الذى يمارسه هذا الرجل ، فنظر لى مبهوراً ثم أشار إلى الجدار العماق الذى تتأثرت عليه الصحف ووضع المرحاض فى أسفله ، وقال :

« هذا هو ! إنه أستاذ فى الأعمال الفنية المركبة ! »

« تعنى الأعمال الصحية المركبة على ما أعنى ؟ »

لن يحترم ما أقول أبداً وسوف يتهمنى بالجهل لكن لو كان وضع مرحاض كامل عليه صراصير فى الصالة عملاً فنياً ، فالفن عمل قذر وغير أخلاقى بالمرّة .. هذا رأيي مهم قالوا لى ..

★ ★ ★

فى الرابعة صباحاً توفى (أنيس) عرفت هذا لأن (عزت)

تصل لى وأخبرنى بهذا ..

قال لى المتوفى راح فى غيبوبة منذ ساعة ثم شهق . وتوقف نبضه وتنفسه ..

« هل أنت متأكد مما تقول ؟ »

« لقد رأيت الموت من قبل يا (رفعت) .. »

« هل ترى أن أتى لك ؟ »

« ليس فى الرابعة صباحاً .. ثم إن قدومك لا جدوى منه .. »

كان متمسكاً وإن التفتت أذنى تلك النغمة المشروخة المتحشجة تحت طبقة الهدوء .. لديه رصيد لا بأس به من الألم لكنه يؤجله .. أعرف أن (عزت) هو الإخلاص يمشى على قدمين ، وليسوف يبرهن للفنان المتوفى على أنه ابنه الروحى فعلاً .

هكذا وضعت السماعه شاعراً بالأسى .. كان ذلك الرجل يتكلم معى منذ ساعات وكاد يدفع لى أجراً .. أعددت لنفسى بعض الشاى لأن يومى فى نروته كما تعرفون وجلست أطلع الصحف

فجأة بق الهاتف من جديد ..

كان هذا (عزت) كما توقعت ..

« (رفعت) .. إنه يتحرك .. »

قلت باسمًا :

- « توقعت هذا .. صدقتى إن تشخيص الوفاة صعب .. صعب جداً وإبنى لعندهش لكون الناس يمارسونه بهذه البساطة .. »

قال فى إصرار :

- « بل هو ميت يا (رفعت) ! »

- « قلت إنه يتحرك .. »

- « نعم يتحرك .. وأنا أعرف أن هذا مستحيل لكنها الحقيقة . لقد غادرت الغرفة ونمت قليلاً وسط قطاع الخيال الشرقى .. عندما فتحت عيني وجدته جالساً على الطنafs .. لم يكن حياً بل كان ميتاً .. فقط هو فى وضع يوحى بالجلوس .. لصابنى الذعر وتركته حيث هو واتجهت إلى قطاع رعاة البقر .. أنت لم تره .. هناك صالون وديكور حاة وتمثيل خيول .. تمددت على فراش هناك وحاولت أن اغمض عيني لكن هذا مستحيل .. ثم خيل لى أن هناك من يوجد معى فى ذات الحجرة . رفعت رأسى فوجدته راقدًا هناك على السياج الخشبى الذى يربط رعاة البقر خيولهم له . (رفعت) ! أنا موثك على الجنون .. »

قلت له فى كياسة :

- « لا أرى تفسيراً سوى أنها حالة موت مزيف .. هناك ألف قصة لـ (إيجار آلان بو) لها هذا المحور . لكن لا أعرف لماذا لا تغادر الشقة ؟ »

قال بصوت كالنحيب :

- « لا أعرف كيف أعود لدارى فى ساعة كهذه .. هل يمكنك أن .. هل تسمح لى أن أقترح ؟ هل يمكن أن ... ؟ »

قلت وأنا أضع الساعة :

- « ليكن .. فهمت . تريد أحمق معك فى هذه الساعة .. لقد أحسنت الاختيار ! »

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سحيقة ، فتوجه للفصل رقم ٢٤

لو كنت تريد نهاية عملة ، فتوجه للفصل رقم ٣٩

- ٨ -

أعرف ما تقولون

عندما توفي (أنيس الفخرى) فلما العند من الخراج ، الذى يعتبره (عزت) نباء الروحى ، كان على (عزت) أن يمضى عدة أيام يصنف تلك الأشياء فى بيت الرجل بالتعاون مع ابنه الوحيد (مصطفى) .. لم يكن (مصطفى) مهتماً بالفن ، ولم يتأثر لحظة لوفاة أبيه الذى لم يره منذ أعوام برغم أنه كان على بعد نصف ساعة من دله تقريباً ..

كل ما كان (مصطفى) يريده هو البحث عن العقارات وحسابات المصارف التى لدى أبيه .. كان الفقيد ثرياً بدون شك والدليل على هذا ديكور شفته الغريب المبهر .. هذه الأشياء تكلف مالا .. لكنه كان عاجزاً من دون (عزت) لأن هذا الفتى الأسمر السقيم يعرف كل شيء هنا ..

كان (عزت) يتوقف أمام مكتش صغير أو صورة فوتوغرافية للوحة ، ويهتف :

- « تأمل هذه الروعة ١ »

فكان (مصطفى) يقول بلا تكرث :

- « جميل .. جميل .. »

ثم يطوح السكتش أو الصورة جانباً ويواصل البحث متذكراً :

- « هذا ليس بيتاً ، إنه سيرك .. أدخل ونجوم و .. و ... لو عرفت بهذا لرفعت عليه قضية حجر .. »

كان (عزت) ينظر للرجل فى ذهول .. كان يقرأ عن العقوق لكنه لم يعانيه بهذا الوضوح وهذه المفاجأة من قبل .. لولا التعقيدات القانونية لتكفل هو بكل شيء .. إن وجود هذا الوغد هنا يضفى على الموضوع ابتذالاً وعدم احترام .. يتمنى أحياناً أن يهشم أنفه ، لكنه يعرف أنه ليس من حقه أى شيء ومن السهل أن يطرده (مصطفى) متى أراد ..

قال (عزت) لـ (مصطفى) فى شبه توسل :

- « هل أحتفظ بتلك اللوحات على الأقل ؟ »

قال الرجل فى ملل :

- « خذ هذه القمامة بأية كمية تريد .. لا أريد شيئاً من هذا هنا .. سوف أجنب عمالاً هذا الأسبوع لينظفوا كل هذه الأشجار والصخور .. ستصير الشقة جاهزة للبيع .. »

كان الآن قد وضع عويناته وراح يفحص مجموعة من الأوراق والعقود ..

اتجه (عزت) إلى خزانة كبيرة من الطراز الذى تحفظ فيه اللوحات للصلافة وراح يبحث عن ميراثه الخاص .. هنا وجد جسمًا مستطيلاً ملفوف بعناية فى ورق براق من الذى تحفظ فيه الهدايا ..

بدأ يمزق الورق متوقعًا أن يجد آيات قرآنية أو (تابلوه) .. لكنه فوجئ بنوح من الفخار تناثرت عليه علامات رلمسية وأفقية كلها تستعمل وحدة واحدة هي تقريبًا حرف T اللاتيني ..

هذه كتابة مسمارية .. لا شك في هذا .. الكتابة التي كانت مستعملة في بلاد ما بين النهرين ، والتي فك رموزها الألمانى (جروتفند Grotenfend) ، والتي سبقت الأبجديات المعروفة بـ ١٥٠٠ سنة . اللغة التي ابتكرها السومريون ثم تبناها الآشوريون والبابليون .

ما معنى هذا ؟ ولماذا يحتفظ الفقيد بهذا النوح ؟

★ ★ ★

عندما عاد (عزت) إلى شقيقه شعر بدهشة بالغة عندما فتح اللوح وأعاد تأمل الكتابة .. من المستحيل أن تزعم أنه يجيد الكتابة المسمارية ، لكن الكلمات صارت واضحة فجأة :

- « من يمتلك اللوح لا يمتلك بالضرورة المعرفة . إنك لن تقرأ هذه الحروف قد امتلكت حكمة (أوتشيتيم) لأنك المختار كى يمتلكها .. »

ما معنى هذا الكلام ؟

المخيف هو تلك الموهبة التي حطت عليه فجأة . لقد قصى (جروتفند) حياته كلها محاولاً فهم نص واحد ، والآن أنت تقرأ هذه العبارة للصعبة بلا مشاكل ..

هذا محر لا شك فيه ..

معنى هذا أنك تعرف .. لكن تعرف ماذا ؟

« هلمى .. إن هذا الخبز طازج »

« لا أعتقد هذا .. مذاقه كريه .. لكن الجائع لا يدقق »

سمع هذه الكلمات من مكان ما ف شعر بالحيرة .. هل هناك شخص معه فى الشقة ؟ كلا .. الصوت قادم من وراء الباب .. فتح الباب فلم ير أحداً .. فقط قطنتين تعبانان بقمامة الجيران .. يبدو أن (رفعت) خارج البيت ..

عاد إلى الداخل فعاد الصوت يتردد :

« لماذا لم تقرأ ؟ »

- « لم أقو على ذلك .. كنت جائعة ثم إنه يبدو مبالغاً .. »

خرج إلى الشرفة حائراً يبحث عن مصدر هذه الأصوات .. لكنه لم يسمعها .. فقط سمع صوتاً غليظاً متحسراً يقول :

- « أنت سريع جداً .. لا تنس أننى من لحم ودم »

نظر إلى الشارع الذى غمره الظلام فلم ير أحداً باستثناء شاب على دراجة يركض خلفه كلب صغير من نوع (اللولو) من أين جاء الصوت ؟

« هلم ادخل .. إن قبضتى تتخلى عن الجدار »

هذا الصوت العجيب الخفيض .. ما مصدره ؟

نظر للسقف فلم ير شيئاً سوى ذلك البورص الصغير الملتصق به .. كان يمقت تلك الزواحف الكريهة لذا عاد للداخل وأغلق الباب ..

فجأة بدأت الفكرة تتضح ببطء .. تتجمع كما تتجمع السحب في السماء . غريبة مفزعة لكنه بدأ يستوعبها ببطء ..

لقد صرت قادراً على سماع خواطر الحيوانات !

« إنك إن تقرأ هذه الحروف قد امتلكت حكمة (أوتابشتيم) لأنك المختار كي يمتلكها .. »

هل (أوتابشتيم) هذا كان يقدر على سماع خواطر الحيوانات ؟ لا يعرف .. لكنه يعرف يقيناً أنه في ربع الساعة الأخير امتلك موهبة مخيفة بحق ..

إنه المختار .. إذن ليس بوسع كل من رأى هذا اللوح أن يفهم ما كتب عليه فقط من يفهم يملك القدرة . ترى هل كان (أنيس) قادراً على قراءة هذه الكلمات ؟

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سعيدة ، فلتجه للعصل رقم ١٨

لو كنت تريد نهاية محزنة ، فلتجه للعصل رقم ٣٠

- ٩ -

إيرين قد عادت

كانت سيارة (ماجي) الصغيرة تنتظرنا عند مغادرة المقبرة . عرضت على أن أقود فرفضت . لم أستطع قط أن أبتلع وضع العقود إلى اليمين تلك العادة البريطانية البذيئة

قالت لي بلهجة لا عاطفة فيها :

- « لقد ماتت (إيرين) .. »

ثم انفجرت في البكاء فجأة وبلا سابق إنذار .. وضعت رأسها على كتفي وراحت تبكي . كنت أحب (ماجي) ولا أعرف شيئاً عن (إيرين) ، لذا بكيت ..

(إيرين) عجوز بريطانية طيبة من الطراز الذي يصفه أدينا (محمد عفيفي) بـ (عجائز لندن اللعيبات) . إنها ذلك النمط الذي يحب الأكرهار ولديه قط ، ويضع بول - أوفر على كتفيه ويشتغل التريكو طيلة اليوم . الطراز الذي يصنع فطائر الخوخ ويتكلم عن الطقم للأبد ..

لم تكن تعيش في لندن ولكن في إنفرنسشاير . وكانت (ماجي) تزورها كثيراً حيث تجلسن في الشمس تحتسيان الشيكولاته الساخنة ..

(ماجى) تحب العجايز الطيبات خاصة حينما يبلغن السن التى تصير فيها الرحلة للعالم الآخر مجرد نزهة قصيرة ..

فى يوم من الأيام أصيبت (إيرين) بارتفاع حاد فى ضغط الدم .. يبدو أنها كانت مصابة بتكيس شريانى فى المخ سرعان ما انفجر وحملوها إلى المستشفى حيث ماتت ..

كانت جنازة مهيبة حزينة فى يوم من أيام الصيف التى تحبها .. لزهار كثيرة وضعت فوق القبر .. وموعظة بالكنة الأسكتلندية لم أفهم شيئاً منها .. (ماجى) بكّت كثيراً جداً ..

كنت أحب (ماجى) ولا أعرف شيئاً عن (إيرين) ؛ لذا بكيت ..

★ ★ ★

أنهيت أعوام دراستى وعدت إلى مصر لتبدأ حياتى الصاخبة التى تعرفونها جيداً .. أشباح والغاز ومومياوات .. وبيطء بدأت أدرك أن العالم مزدحم فعلاً بأشياء لا نعرفها . أنت لست وحدك على الإطلاق . علامات استفهام فى كل ركن ، لكك سوف ترحل تاركاً ذات العلامات لأحفادك ..

ظلت قصة الحب المستعرة بينى و (ماجى) أحياناً كنت أسافر لها كما حدث عندما رأيت وحش (لوخ نس) ، وأحياناً تأتى هى لى كما حدث مع ذلك السفاح الذى كان يطاردها ..

وفى كل مرة تسملىنى :

- « إلى الأبد ؟ »

- « ماذا ؟ »

- « ستظل تحبنى إلى الأبد ؟ »

أقول فى صدق :

- « وحتى تحترق النجوم .. وحتى .. »

ثم أتوقف لأن شيئاً لابد أن يحدث ..

هكذا دارت عجلة السنين حتى تلقيت هذا الخطاب الغريب من (ماجى) بعد حوالى خمسة عشر عاماً من وفاة (إيرين) :

الاعز (رفعت) :

ثمة أشياء غريبة تحدث هنا .. هل تذكر (إيرين) ؟ صديقتى العجوز التى بكيت كثيراً عندما دفنتها ؟ حسن . لقد عادت !

قبل أن تظن بعقلى الظنون دعنى أحكى لك أننى أعيش وحيدة كما تعرف بعد وفاة أبى . فى تلك الليلة جاء (جراهام) الوفى ليخبرنى أن سيدة مسنة تنتظرنى ..

- « من هى ؟ »

- « لم تقل .. قالت إنك تنتظرينها »

لنا لمقت هذه الريزلت التى تتم من نون موعد مسبق .. لكنى على كل حل فرغت من لورفى ونزلت إلى البهو لألقى تلك القزارة . فوجدت بأنها

(إيرين) بشحمها ولحمها .. كانت تضحك .. والغريب أنها علفت في ذات حالتها قبل الرحيل . خمسة عشر عامًا لم تترك عليها أى أثر ..

أجفلت وتراجعت وكدت أصرخ ، لكنها بدأت تتكلم .. تتكلم بصيغة عادية تمامًا كأنها لم ترحل قط .. تتكلم عن الطقس وعن فطائر الخوخ والقطط الصغيرة ..

أخت لها .. هذا مؤكد ..

سألتها عن اسمها فقالت في دهشة :

- « هل نسيت (إيرين) يا (مجى) ؟ (إيرين مكلرسون) صديقك العجوز .. »

- « (إيرين) ماتت »

هنا سألت نعمة على حدها وأخرجت مندليها المزركش بلداتيليا وقالت :

- « (مجى) .. كيف صرت بهذه القسوة ؟ »

كان قد فض بسى . لا وقت عندي لهذه الدعايات العسيرة .. لذا صحت منادية (جراهام) :

- « تأكد من أن السميدة قد غادرت البيت ولن تعود له ثانية . »

نظرت لى نظرة طويلة .. أقسم أن هذه المرأة تسخر منى فى سرها . لا أعرف من دبر لى هذا المقلب لكنه مخطط لوظن لئلى سأصاب بذعر ..

ورأيتهما تتجه للباب مع (جراهام) .. فعدت غاضبة إلى مكتبى وعلمى ..

فى اليوم التالى تذكرت (إيرين) العزيزة .. شعرت بحنين لها فقررت أن أزور قبرها وأضع باقة أزهار هناك .. لم أفعل هذا منذ عشرة أعوام ..

ترجلت ومشيت وسط هذا الطقس الجميل الذى كانت تحبه .. هناك من حاول أن يعث بعواطفى للثمنينة .. بمقنسات ذكرىتى .. لكنه سيدفع الثمن ..

لم يكن القبر هناك .. بالتوافق لا شيء على الإطلاق ..

كانت هناك حفرة قبيحة المنظر وشاهد القبر مقلوب ، بينما هناك كومة من القمار والأزهار الذابلة جواره .. من فعل هذا ؟ من جرؤ ؟ جاء حارس المقبرة العجوز ، ورأى ذهولى فزرع قبعة وقل بوقار :

- « نبلشو قبور يا سيدتى .. حدث هذا منذ ثلاثة أيام . هناك مجموعة من الشباب غريبى الأطوار يترددون على المقبرة من حين لآخر .. لقد أبلغت الشرطة بأمرهم .. اعتقد أنهم من فعل ذلك .. إن عبدة الشيطان هؤلاء يحتاجون إلى جنث بشرية طيلة الوقت .. دعه من طلبه الطب . »

سألته وصدرى يطو ويهبط :

- « هل رأيتهم يفعلون ذلك ؟ »

« لا .. لكن ما معنى قبر تم نبشه وسرقة الجثة منه ؟ الموتى لا يفعلون ذلك .. »

ثم سألني في حذر وهو يتفحص الشاهد المقلوب :

« (إيرين ماكفرسن) .. هل هي أمك ؟ »

« شيء كهذا .. »

قلتها وأنا ألتجه إلى السيارة ..

ما رأيك في هذا كله ؟ أعرف أنه يبدو غير مترابط لكنه حقيقى ..

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية مخيفة ، فلتجه للفصل رقم ١٥

لو كنت تريد نهاية مملة ، فلتجه للفصل رقم ٣٤

- ١٠ -

اللاما العظيم

في قرية (تو جيجى) بالتبت تم اللقاء الأول بين الكاهن الأخير و (جيدون شوكى نيما) .. إنه فيما يقولون التناسخ العاشر للاما (باتشن ريتبوش) العظيم ..

برغم أن (النافاراي) لا يؤمنون بالتناسخ ، فقد كانوا يحترمون عقائد الآخرين ..

وقد دخل (هن - تشو - كان) الدير على ركبته حتى صر أمام اللاما فمرغ جبينه في الثرى .. عندما رفع رأسه وجد أن (شوكى نيما) يجلس القرفصاء لكنه على ارتفاع متر عن الأرض . شيء كهذا بطير صواب الفلاحين ، لكن (هن - تشو - كان) قام بنفسه بأشياء مماثلة مراراً ، ويعرف أنه لا معجزات هنا إلا معجزة التركيز الذى يصل إلى درجة توبان الذرات فى الذرات .. (النافاراي) يصنعون مثل هذا وأكثر ..

قال اللاما العظيم :

« أنت (نافاراي) .. عرفت هذا من ثيابك .. »

يقول الكاهن الأخير وهو يطرق برأسه :

« يطلقون على الزهرة الزرقاء أيها اللاما العظيم .. »

- « وأنت لا تؤمن بنا ، لا تؤمن بي .. »

- « تعلمت أن أحترم معتقدات الآخرين أيها اللاما العظيم .. »

ارتفع اللاما إلى أعلى أكثر وأغضض عينيه وبدأ يتكلم بصوت خفيض :

- « عندما تخلق النسر الحديدية ، وعندما تركض الخيول على عجلات .. سوف يتلرقق أهل التبت في الأرض وتصير الدارما dharma في أرض الرجال الحمر .. »

ثم ارتفع إصبعه ليشير إلى (هن - تشو - كان) :

- « النافاراي يقتل من استضافه .. رجل البحر الأسمر يلقي حتفه على يد زهرة زرقاء عندما يعود تتأسخ للاما إلى صبي من (لهاسا) .. »

ثم بدأ يهبط إلى الأرض .. وفتح عينيه ..

كان (هن - تشو - كان) يعرف التقاليد لا يمكنه الاستفسار عن أي شيء لأن هذه غيبوبة .. اللاما نفسه لا يعرف ما قاله ..

كانت النبوءة خطيرة ؛ لأن الدارما هي قوة الكون ذاتها ومن الصعب تصور أن تسلب من التبت ..

لكن (هن - تشو - كان) قدر أنها هذيان على الأرجح ..

لم يصرح بهذا بل خفض رأسه وتراجع إلى الخلف دون أن يعطى اللاما ظهره ..

في دير النافاراي قابله الأخ (مياتج) لمسأله :

- « هل ذهبت إلى (تو جيحي) أيتها الزهرة الزرقاء ؟ »

هز (هن - تشو - كان) رأسه وابتسم ساخرًا ..

هنا بدا الغضب على وجه (مياتج) وقال في حدة :

- « لا تسخر منهم .. إنهم يعلمون الكثير .. أرسلتك كي تسمع منهم وتفقد كبرياء النفس .. أسوأ أنواع الكبرياء أن تعتقد أنك تحتكر الحقيقة وأن من عداك لا يملك منها شيئاً . طلبت منك أن تقدم له الاحترام وأن تمرغ رأسك في الغبار أمامه .. »

- « وقد فطنت أيها الأخ (مياتج) .. لكن لم أتجاوز هذا .. معنى أن أصدق نبوءته أن أصبح منهم . معنى أنني نافاراي هو أنني أراهم على خطأ .. »

أشار له الأخ (مياتج) غضبًا باتجاه القرية وقال أمرًا :

- « الآن تعود .. الآن تمرغ رأسك أمامه وتصفي له .. »

- « لكنني أرهقت من طول الرحلة .. »

- « الآن تعود .. »

هكذا وجد الفتى نفسه عائدًا لذات القرية .. الأخ (مياتج) لا يكرر الأمر مرتين ..

وتمر الأيام ويحدث ذلك الانتقال الغريب للفتى عبر الزمان والمكان لوجد نفسه في قرىتي (كفر بدر) .. تلك القصة التي حكيتها لكم من زمن وأهيبكم تذكرونها ..

طبعاً نسمى كل شيء عن هذه النبوءة ..

تحولات كثيرة مرت به كما تعرفون ..

إنه اليوم شاب وسيم عصري يضع عوينات سوداً ويلبس بذلة أنيقة ، وقد نجح في العمل مع الصينيين الذين بمقتهم ، لكنهم أداته الوحيدة للعودة إلى التبت .. لقد عاد إلى هناك حيث يمضي أغلب الوقت لكنه يعود لمصر كثيراً جداً ولابد أن ألقاه في كل مرة ..

كما قلنا كان يترجم لغات التبتيين ويتفاوض مع الرهبان .. كان سعيداً لأن هذا وسطه الطبيعي ..

ذات يوم جاء مجموعة رهبان من دير (تاشيلونبو) .. إليهم بونيون كما تعرف ..

بعد طقوس التحية واحتماء الشاي بالزبد نظر له كبيرهم نظرة طويلة مدققة وقال :

« نحن نطلب وساطة للاتصال بيهكين .. إننا نجرى طقوس تنصيب اللاما الجديد .. »

هز رأسه في احترام فقال الراهب :

« لقد تم التناسخ الخمسون للاما (باتشن رينبوش) العظيم .. هناك طفل ولد في (لهاسا) يحمل العلامات ونحن نطلب السماح لنا بالذهاب وفداً إلى هناك .. يجب أن نقيم الصلوات أربعين يوماً مع الاستعانة بـ (كيرونج جور) و (ثانجا) حامية التبت »

« لكم هذا .. »

لا يمكن أن يقيم الرهبان مثل هذا الاحتفال من دون تصريح أمني خاص من (بكين) .. لهذا يطلبون نوعاً من الوساطة .. وبالطبع كان خير وسيط لهم هو الكاهن الأخير ..

★ ★ ★

عاد (هن تشو كان) إلى مصر حيث اتصل بي واتفقتا على اللقاء ..

لسبب ما تذكر نبوءة ذلك اللاما الذي قابله منذ مئات السنين في قرية (تو جيجي) ..

« عندما تحلق النصور الحديدية ، وعندما تركض الخيول على عجلات .. سوف يتفرق أهل التبت في الأرض وتصبح الدارما dharma في أرض الرجال الحمر .. »

من الغريب أن النبوءة تحققت إلى حد ما .. الطائرات الصينية (النصور الحديدية) تحلق في سماء التبت .. خيول على عجلات .. الدارما انتقلت إلى أرض الهند .. تفرق التبتيون

هنا ارتجف إذ تنكر باقي النبوءة :

« النافراي يقتل من استضافه .. رجل البحر الأسمر يلقي حتفه على يد
زهرة زرقاء عندما يعود تناسخ اللاما إلى صبي من (لهاسا) .. »
لقد عاد تناسخ اللاما في (لهاسا) فعلاً ..

من هو رجل البحر الأسمر ؟ ومن هذا الذي استضافه ؟

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية مخيفة ، فلتحه للفصل رقم ١٩

لو كنت تريد نهاية ممللة ، فلتحه للفصل رقم ٢٥

- ١١ -

تمارين ليلية

يختلف من كتبوا عن التبت في معنى لفظة Chod .

المعنى الحرفي للكلمة هو التقطيع . لكن المعنى قد يكون مجازياً
بمعنى (قطع المفاهيم الخاطئة عن ذاتك) . وقد يكون حرفياً يتم
عبر أشنع طقس وصفته كتب الأستروبولوجي ..

في قرية (تاشينج دجلاما) التبتية قبل (هن - تشو - كان) الراهب
البوذي (فاجيرياتا) .. كان هذا ضمن عملية (الكعب الدائر) التي
كلفه بها الأخ (ميلانج) كي يتعلم أن يهين ذاته وأن يعرف أنه لا
يحتكر الحقائق إن (فاجيرياتا) كذلك (نجاجسبا) مهم .
(نجاجسبا ngagspa) هو شيء قريب من لفظة مشعوذ عندنا ..

كان هناك فن خاص بحيدة هؤلاء هو فن صنع شبح . أن تصنع
صورة لنفسك يمكن أن يتعامل الناس معها هذه ظاهرة كتب عنها
لأوروبيون كثيرون . لم يستطع (هن - تشو - كان) تعلم هذا الفن
على كل حال .

إن التبت بلد غامض غريب . يصعب أن تلم بأسراره مرة واحدة ،
والمسبب الرئيس هو أنه محاط بجبال الهيمالايا المرعبة .

الأوروبيون الذين زاروا هذا البلد عاد كل منهم يحكى عن شيء
غريب أو مروع ..

قال (فاجيريتا) لـ (هن - تشو - كان) الذى جاء يتعلم أساليبه :

« اللينة صافية وأنا راغب فى أداء بعض (الشود Chod)
(الرولانج Rolang) .. فهل تأتى معى ؟ »

وافق الكاهن الأخير الذى كان يسمع هاتين الكلمتين لكنه لا يعرف
عنهما شيئاً ..

★ ★ ★

« عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق ،
عندئذ يبدأ فجر النافراى »

★ ★ ★

عندما جاء الليل خرج الراهب من القرية مع (هن - تشو - كان) بعد
ما تناولا العشاء والشاي بالزبد لم يعرف الكاهن الأخير إلا متأخراً
جداً أنهما ذاهبان إلى المقابر ..

قال له الراهب :

« هل أنت خائف ؟ »

قال الكاهن الأخير :

« لا .. ولماذا أخاف ؟ »

قال الراهب البوذى :

« يجب أن تخاف . فقط الحيلة لا يعرفون الخوف عندما تدعو
الضرورة له .. »

الظلام دامس بحق .. كنت ترفع رأسك للسماء فترى النجوم كما لم
تراها من قبل ، قبل أن يندفع فوقها غبار الحضارة وصدا الزمن ..

يمشى الراهب بقدميه الحافيتين بين المقابر ، ثم يتوقف ..

يجلس على الأرض وينظر للسماء ، ثم يرقد على ظهره ويصبح
فى الفتى :

« مهما رأيت لا تخف . ! لا تتدخل ! إن الشود هو مادة ..
مادة تقيمها أنت للشياطين على جسدك ! »

يسمع (هن - تشو - كان) الزئير العواء .. للزنجرة . الخوار ..
ثم يرى ..

يرى تلك الكائنات المريبة التى لا شكل لها تخرج من وراء المقابر .
إنها تتقدم .. تتلف حول الراهب تنفض عليه ويبدو أنها تفتسه ..

المشهد شنيع لا يصدق ..

يوشك على الصراخ لو الفرار ..

لكنه يتذكر كلمات الرجل فيظل واقفاً .. الآن لم يعد يرى الراهب
من كثرة ما تلف حوله من شياطين ومسوخ ..

لا يفكر كم مضى من وقت قبل أن تنفض هذه الكائنات المفزعة

وحينما رحلت أخيراً نهض الراهب ووقف على قدميه ، وقال للكاهن الأخير :

« هذه هي التشود .. إن هذه المسوخ إذ مزقتني مزقت كل ما هو زائف في وعيي .. »

هتف (هن - تشو - كان) في ذهول :

« هل تفعل هذا كثيراً ؟ »

« فقط كلما شعرت أن الزيف يتسلل لى .. إن التشود نوع من التضحية بفرض التطهر وفي العادة أفعل هذا مرتين كل شهر .. »

ثم قال وهو ينظر للسماء :

« الآن جان وقت (الرولاج) .. »

« وما هو ؟ »

« إنه الطقس الذي يضى حرفياً - بإيقاف الموتى على أقدامهم ! »

الآن يمكنك الاختيار

لو كنت تريد نهاية سعيدة ، فلتجه للعصل رقم ١٤

لو كنت تريد نهاية مملة ، فلتجه للعصل رقم ٣٥

- ١٢ -

تصير حقائق

« عندما تغرب الشمس وتلطخ بملأها ثوب المساء الأزرق ، عندئذ يبدأ فجر النافراي »

★ ★ ★

لفترة لا بأس بها عمل (هن - تشو - كان) مع الصينيين في التبت .. كان يمتهم ولم يستطع أن يستريح لهم قط ، فهم بالنسبة له أولئك الذين تسهكوا قدس الأقداس عندما غزوا التبت عام ١٩٥٩ .. كانوا ملحدون يعتبرون كل الأيدين خرافة ، لكنهم كانوا يعملون لبونية بشكل أكثر وقلحة . وكثروا يقسمون أهل التبت إلى (شترالكيين) و (متكينيين) .. الفريق الأخير لم يكن يمثل لهم إلا مجموعة من الحمقى صلب الرعوس نوى ميول رجعية ، وقد امتلأت رعوسهم بالخزعبلات ..

لم يكن (هن - تشو - كان) بونياً .. كان آخر مخلوق على وجه الأرض يعتق عقيدة (النافراي) ، وهي عقيدة لم تزعم قط أنها دين .. إنها مجرد فلسفة تحاول فهم الكون .. لكنه كان يشعر بأن لبونية ابنة عم لعقيدته ، ولية إهانة لها إنما تصيب صلب ما يؤمن به .. تصيب الكاهن الأكبر ، والأخ (ميتاج) وكتاب (للشوكرا) ..

كما قلت كان يكره الصينيين لكنه يتعاون معهم لأنهم يمنحونه فرصة لتواجد في وطنه . أن يدخل الأخيرة لعقيدة التي لم يدخلها منذ

مئات الأعوام .. أن يرى المخطوطات التي أوشتت على أن تبلى ..
باحتمسار لم يكن هناك سبيل للوصول إلى كل هذا العالم إلا من
خلال قمع كربه اسمه الصينيون ..

وكان يتحيل ما سوف يقوله الصينيون أو يفعلونه لو عرفوا أن هذا
الشئ البرع قدى بجيد عدة لغات ، ويعرف كيف يتغاهم مع قبائل (الشيريا)
و (الامدواس) ليس سوى كاهن اجتاز مئات الأعوام .. وكيف لو عرفوا
محتوى كتاب (الشوكارا) القادر على تحويلك إلى إنسان آخر !

في ذلك اليوم ترجئت العربات الجيب التي تحمل النجمة الصينية
الحمراء أمام ذلك الدير الجبني ، وترجل الجنود الصينيون بشبابهم
الخضراء المميزة . ومعهم كن شاب بمسيط الثياب ينس تلك البدلة
الصينية الموحدة التي لا تدل على وضعك الاجتماعي كان هذا
الشاب هو (هن - تشو - كان) نفسه ..

وقف الرهبان بأقدامهم العارية ورءوسهم تصلح يراقبون هؤلاء
الغاممين الذين لا يحملون خيراً بينما دلف الصينيون إلى الدير ..

لم يكن لهذه الحملة هدف محدد سوى التواجد فقط هم يعلمون
هؤلاء القوم أنهم هنا وقائرون على التدخل ..

راح (هن - تشو - كان) يراقب الرهبان المتوترين ، وتذكر كيف أنه
كان واحداً من هؤلاء منذ قرون فقط هم لم يتغوا درجة الكراما
الواحدة عندما تتوحد مع للكرما لن تخاف بل تستشعر لشهقة على
الخطر الذي يهددك ..

دخل الجنود الصينيون الدير وراحوا يعيشون هنا وهناك أحدهم
تحسس عبق تمثال بوذا ساخراً .. أما الآخر فأسقط مجموعة من
لفافات الصلوات على الأرض ..

كان هناك إباء كبير من الخزف على المذبح فأسقطه أحدهم
متظاهراً بأنه لم يتعد هذا ..

يحتاج (هن - تشو - كان) إلى طاقة تحمل أعلى من هذا كي يقاوم .
كان يعرف أن هذه المجموعة مجرد صبية يمكنه أن يقهرهم
بسهولة ، ولكن يظل السؤال : ماذا بعد ؟ أولاً سوف يقلب الجيش
الصيني كله ضدك وأنت لا تستطيع مواجهة الجيش الصيني

ثانياً سوف يحل العذاب هؤلاء الأبرياء في الدير والقرية
المجاورة ، ولن تكون أنت هنا لتحميهم حتى لو تواحدت فلن
تستطيع مواجهة سرب الطائرات الذي سيخلق ليقدف بعشر قتلى
تحيل لدير وما حوله إلى خراب ..

هكذا ابتلع المشهد وصمت ..

كان يقف وسط هذا الصخب عندما أدرك أنه يدوس على تراب
التراب الذي كان في هذا الوعاء الخزفي المهشم . شعر بحذانه
يتورط في شيء حسيما دقق أكثر رأى أنها قلادة غريبة الشكل

يرفع رأسه فتلقى عيناه بعيني كبير رهبان الدير وإذا برأيه
العوز يهز رأسه موافقاً ..

للحظة تكلمت النظرات ..

- « نعرف أنك صادق .. نعرف أنك لست منهم .. خذها واعمل على حمايتها »

- « لكن .. أليها الأب العظيم لنا .. »

- « بحق (جوتاما) خذها .. كنت لا تفهم مدى أهميتها لنا »

هكذا اتحنى (هن - تشو - كان) فالتقط القلادة ودسها في عنق حذائه ذي الرقبة ..

فرغ الصينيون من التفتيش والتدريس فأطلقوا الصيحات بجمعون الرجال ، وسرعان ما ركب (هن - تشو - كان) معهم سيارتهم للجيب وغادروا المكان ..

لم يكن بوسعه العودة للدير .. هناك دائماً واش سوف يخبر الصينيين .. هكذا قرر أن يحتفظ بها ..

وفي غرفته الخشبية البسيطة التي لا تحوى إلا فراشا وحوضا للفسيل ، أطل من النافذة ليرى كتيبة صينية تؤدي تكريبات الصباح وسط المروج الجبلية .. سوف يتبع هذا الجلوس على الأرض لقراءة تعظيماً قرنيش (ماو) من الكتاب الأحمر الصغير الذي يعتبرونه كتاباً مقدساً ..

هكذا مد يده يتفحص تلك القلادة التي وجدها في الدير ..

كانت تمثل شيئاً ككل شيء يمت لهذه البلاد ، لكن النقوش الدقيقة على قاعدته كانت بلغة يعرفها .. تلك اللغة التبتية المنقرضة التي كان يتكلمها ، ومن العسير أن يجد أحداً يعرفها اليوم ..

كأنت تقول :

- « مع البعض تصير لكلمات حقائق .. ومع البعض تصير لحياتك كلمات »

ما معنى هذا ؟

لم يفهم ..

على كل حال سوف يحتفظ بهذه القلادة التي تبدو ذات قيمة .. وسوف يعدها إلى الراهب يوماً ما ..

★ ★ ★

لكن هذه اللحظة لم تلت لأنه تشغل بعمله الجديد والمشكلة التي حدثت بعدها ..

جاء اليوم الذي وجد فيه أنه في الهند يقوم بزيارة قصيرة ، ثم تحمله الطائرة إلى وطنه الثاني . مصر .. البلد الذي أواه عندما فر من واقعه الجغرافي والزمني ..

وجاءت اللحظة التي قابلته فيها في تلك الشقة التي اتخذها في (الزمالك) .. هناك جالية صينية لا بأس بها في القاهرة وبوسعه أن ينوب وسطها .. وكما قلت سابقاً أنت لا ترى فيه سوى شاب أسوي متلئق يضع نظارة سوداء ويحمل حقيبة أوراق ، تقرب إلى رجل أعمال من هونج كونج جاء يعقد صفقة لتصدير الأقلام الجافة !

في شقته الفاخرة رحب به كعادته هاتفياً :

- « (ريفات) ! »

أنا من المحظوظين القلائل الذين يثرثر أمامهم هذا الفتى على راحتته . وقد راح يحكى لى عن حياته هناك وعن الخبرات الغريبة التى اكتسبها ..

- « وهل ما زلت محتفظاً باللياقة ذاتها ؟ »

فقتها وأن ألوح بيدي لأطرد نياحة سمجة قررت أننى كوم من القمامة لسبب ما ..

فى اللحظة التالية لم أدر ما حدث لأننى وجدت يده تحت أنفى . كان يقف على بعد ثلاثة أمتار منذ ربع ثانية ، وفى كفه وجدت تلك الذبابة وقد حشر جناحها بين إصبعين ..

اتجه للمافذة فأطلق سراحها لا أعقد أنها ستعيش ما لم تتعاط علاجا للنوبات القلبية . لكن الإحابة كانت بليغة جدا على كل حال

قال لى :

- « إن اللياقة حرة من عقيدتى . دعك من أن تكريبات النافلاى يمكن أن تتم فى أى مكان . إن اصطيات الذباب تمرين لا بأس به يمكن أن تؤديه فى فناء حلقى . لكنه لا يتعلق بالسرعة بل يتعلق بالتركيز . »

ثم قال وهو ينظر لى ملياً :

- « لما كنت فشكو قدام اللياقة كنت تتدعى صريفاً يا (ريفات) .. »

لا أعرف كيف حدث هذا . لكننى شعرت بإرهاق غريب . فجأة وجدت لى عاجز عن رفع ذراعى أو الكلام .. ونظرت ليدى فأصابنى الهلع . متى صارت عظامى بارزة بهذا الشكل ؟

نظر لى فى فهم واتسعت عيناه رعباً ثم صرخ :

- « لا تخف .. كان يجب أن أعرف هذا ! »

ثم هتف ضاعطاً على كلماته :

- « بل أنت تزداد شبهاً ! »

فجأة بدأت أشعر بأننى أحسن واستعدت أنفسى . نظرت ليدى فوجدتها كما عرفتُها .. ليست يدي الموباليزا طيفاً ، لكنها ليست يدي جثة متوفاة منذ قرن ..

نظرت له فى حيرة فقال :

- « هذه هى الكارثة التى أمر بها . إن كلمائى تتحقق حرفياً والسبب هو قلادة غريبة وجدتها فى أحد أديرة التبت على القلادة كتبت كلمات غريبة تقول (مع البعض تصير الكلمات حقائق ومع البعض تصير الحقائق كلمات) لم أفهم معناها فى البداية ثم بدأت ألاحظ أشياء غريبة .. »

ثم فكر قليلاً وأردف :

- « كنت أنظر إلى الصينيين فى عل من المافذة ، وقلت لىسمى لبت هؤلاء يذهبون للحكيم هل تعرف النتيجة ؟ لقد احتفت مجموعة كاملة من الصينيين لا أحد يعرف أين هى ولا مصيرها لقد انقلبت البلاد رأساً على عقب .. »

قلت فى ذهول :

- « هل تعنى ما نقوله ؟ »

« حرفيًا .. أنت رأيت الآن كيف كنت ستفقد حياتك بسبب كلمة واحدة قلتها بلا تفكير .. مع البعض تصير الكلمات حقائق »

ثم نظر لى فى شروود وقال :

« السؤال هو : كيف أتخلص من تأثير التهويدة ؟ »

الآن يمكنك الاختيار .

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتجبه للمفصل رقم ٢٢

لو كنت تريد نهاية مملة ، فلتجبه للمفصل رقم ٢٧

= ١٣ =

« عندما تغرب الشمس وتتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق ،
عندئذ يبدأ فجر النافراى »

★ ★ ★

لفترة تظاهروا بأنهم لا يسمعون ، لكن الطرقات ازدادت قوة .. ثم
سمعوا طرقات من أعلى الكوخ .. هناك من يقف على السقف ..

أدرك العجوز أن ما جذب هؤلاء هو النار التى أشعلوها ، وأدرك
(هن - تشو - كان) أن هؤلاء قد أيقظوا بعضهم .. إنهم الآن بحاجة
إلى وجبة طازجة من الدم ..

الطرقات تتزايد ..

مسئوليتك أن تحمى هؤلاء الأبرياء من خطر بدأنه أنت بعد ما كبته
ذلك الكاهن التاوى ..

هكذا اتجه إلى باب الكوخ وفتحته فجأة .. كتم أنفاسه وتراجع
للخلف .. فى اللحظة التالية اجتاز المدخل واحد من تلك المخلوقات
التي رفضت أن تموت .. إنه يتجه إلى داخل الكوخ حيث الأحياء الذين
يتنفسون .. وهو يتواشب على قدم واحدة كما يفعلون ..

برغم أن الموقف لا يسمح بممارسة التقاليد ، فإن الكاهن الأخير
أرجع رأسه للخلف وصاح :

« تشا سارايانا ! »

ثم استكم طقوس الإنذار عالمًا أنه لا جدوى منها .. كيو
سارايانا جواتغ سارايانا . لا أحد ينذر المسوخ فإن فعل فمن
المستحير أن تفهم . لكنه فعل ذلك على كل حال التزامًا بالتقاليد أو
كما نقول نحن (عملاً بتربيته) ، ثم طار في الهواء ليوجه ركلاته
إلى عرق هذا الشيء . ترنح المصح لكنه لم يسقط، وحاول أن
يقتص قدم الفتى لكن هذا تفاداه ببراعة ..

في هذه اللحظة كان اثنان آخران من الشياخ شى قد دخلا من باب
الكوخ بنواثبان . كتم أنفاسه حتى صار بينهما ثم طار في الهواء
موجهًا ركلة لصدر كل منهما ..

رباه ! إنهم أقوياء فعلاً .. ركلة كهذه تقتل رجلاً قوياً ..

أحد هؤلاء يحاصر المرأة وطفنها المرتعش الباكي في الركن .. إنه
يمد يده إلى الطفل ..

صاح العجوز :

« لا تتنفسا ! »

نظير في الهواء حتى تبلغ وعاء للطهي ، ثم تصرخ في المرأة أن تدلوى
وحيث وجه صغيرها . وتطوح محتوى الوعاء في ذلك الكائن .

الوعاء كان يحوى الأرز المسلوق طبعًا . فرأيت ذلك المسخ
يرتحف وقد انتصق به ذلك الأرز على وجهه .. على يديه . إنه
يترنح ثم يصطدم بالجدار ..

تطوح بالأرز في المسخين الآخرين ..

لا شك في أنه يبطئ حركتهم فعلاً ..

في هذه اللحظة ينهار السقف ويهوى اثنان منهم وسط الجنيد
يسقطان على أرض الكوخ ثم ينهضان وهما يزجران كالدببة .

يقفز الكاهن الأخير في الهواء ليوجه ركلة لرأس الأول ، ثم يهوى
بسيف يده على عنق لثنى ، ويتفدى عصاة محكمة في اللحظة الأخيرة

الأمر يزداد تعقيدًا لأنك غير مكلف بحماية نفسك بل بحماية
ثلاثة أبرياء . امرأة . طفل .. شيخ .. مثلث الوهن الأبدى والبقطة
الهشة في أي جدار ..

فجأة يأتي العون من حيث لا تدري ..

ذلك الرجل الذى يلبس ثيابًا ملونة غريبة ولحيته عجيبة الشعر ،
وفى يده عصا غليظة .. إنه يقف على الباب و يحمل شيف في يده
يصيح بك وأنت ملتحم في القتال :

« أبها الشاب ! خذها فتًا لا أقرر ! »

تتب في الهواء لتكون أمامه وتمسك بقبضتك هذه الأشياء ..
أوراق .. أوراق صفر عليها كتابة بلون أحمر .. دم دجاج .. إنها
الغو .. هذا هو كاهن التلو ..

تتب فوق المنضدة المتداعية ثم تكور في الهواء لتهبط على قدميك أمام
أول هذه المسوخ ، وتلتصق بعض الأوراق بجبهته بينما هو يوشك
على الانقضاض عليك .. ثم تنقض على آخر . تفعل الشيء ذاته .

فأخر ..

إنهم يسقطون أرضاً .. لا تبدو عليهم علامة حياة إلا عيونهم الغاضبة المجنونة التي تلاحقك حيثما كنت ..

يقول كاهن القلو :

« عدت إلى الغابة برغم العاصفة لأؤكد من أن الجليد عظامهم فوجدتهم قد رحلوا .. عرفت أن أحدهم قد قترع القو .. هكذا انفتحت آثار أقدامهم على الجليد ففقدتني هنا .. كنت قد اعتمدت على الأرض كي أنفرد بكل واحد منهم إذ يسقط على الأرض ، لكنى ما كنت لأقدر على صنع ما صنعه أنت الآن وهم بكامل عنفوانهم »

ثم صاح في الثلاثة الواقفين ..

« هلم يا عجوز .. هلمى يا امرأة مع طفلك .. سوف نحرق لكوخ .. »

يقول (هن - تشو - كان) :

« قالوا إنك لا تقدر على قتل الموتى .. »

« الأمر ما قلت ، لكنهم سيظلون عاجزين عن الحركة ما بقيت هذه الأوراق .. سوف يذوب الجليد ويظلمون تحته ، وتأتى العواصف لتدفنهم أكثر .. للشياطين تشي يدفنون ولا يقتلون .. »

والمرأة تحمل طفلها خرجة ، بينما تتعاون أنت مع كاهن القلو على سكب زيت السمور في كل مكان .. ثم أنك تركل السمور لترحف الزهرة المقنسة في كل أرجاء المكان ..

النار تتعالى وتحيط بالشياطين شى ..

نتراجعان إلى الباب .. ما بقى من السقف ينهار ..

لئنما الآن فى الخارج تراقبان الجنوة الهائلة تتعالى ..

لكنك لا تستطيع أن ترحل دون أن تعود لتظل من باب الكوخ على الأجساد المحترقة بالداخل وتصيح :

« سولن هتشاه سارايان ! »

لقد أذنتكم بأننى سأستعمل (السارايان) ..

هكذا تقول التقاليد . وعليك أن تطيعها حتى لو لم يسمعك الشياطين

شى ..

تمت

إن لم ترق لك هذه الهابة ، فتجرب الفصل رقم ٣٣

- ١٤ -

لم يصدق (هن - تشو - كان) عينيه وهو يرى القبور تتفتح ..
ومن كل قبر تخرج جثة ملتفة بالأربطة والأكفان تمشي مترنحة ..
تمشي على قدمين ..

الرائحة لا تطاق .. ذعره لا يوصف .. لكنه يضع ثقته في
الراهب ..

يرفع الراهب يده فتقرب منه تلك الأجساد المسكرى .. مد يده في
كيسه القماشى ، وألقى ببعض قطع الحبز فانقصت تلك الأجساد عليها
كلها كلاب جوعى ..

لا يعرف الكاهن الأخير كيف احتفظ بوعيه وهو يرى هذا المشهد
المريع ..

إن (الرولاج) حقيقة .. لا شك فيها .. الموتى غادروا القبور ..
الموتى يقفون على أقدامهم ..

لقد تحقق التنبؤ والرولاج ..

وعندما عادت الجثث إلى قبورها نظر له الراهب وقال :

« انتهت طقوس الليلة يا كهن النافراى الشاب .. »

عادوا إلى القرية فأوى (هن - تشو - كان) إلى كوخه . وفى ضوء

الفجر المتسلل قل لنفسه :

« هؤلاء أقوياء حق . إتهم يعرفون كل شيء بيدو أنني أخطأت
الطريق .. لو أردت الحكمة فما كان على أن لصير (نافراى) ما
أعظم ما يعرفون .. »

كانت هناك قصعة بها بقايا العشاء فى ركن الكوخ .. فاتجه إليها
ومد لأمه وراح يلتهم بعض الأرز محاولاً أن يطرد من ذهنه صورة
الموتى الراقصين ..

لم يستطع النوم ..

خرج من الكوخ ووقف يراقب الأكواح العافية ..

يراقب تمثال بوذا الموصوع فى وسط القرية .. ويراقب الدجاج
الذى صحا من نومه فراح يتسلل ويلتقط الحبوب بانتظار قدوم
الإفطار ..

فجأة رأى الديك يخرج يطير فى الهواء نيركل دجاجة فى عنقه
ركلة معتازة . ثم يستلقى على ظهره ويتشعب شمة دجاجة نصيح
كالديك . ودجاجة أخرى تطارد كنباً عبر الأكواح وهى تنبح

ما هذا ؟ هل جن الجميع ؟

بل جننت أنت ! هذا واضح ..

ولكن لماذا ؟

لماذا كان للأرز والشاي هذا المذاق الغريب ؟

أنت تناولت عشاءك قبل الذهاب للمقابر فلماذا أصر الراهب على ذلك ؟

هذه هلاوس .. ثمة نوع من الأعشاب المحدثّة للهلاوس يس لك في الطعام والشراب ، والهدف أن ترى ما رأيت من عجائب .. لو أن بعض الرجال ظهروا في المقابر ملتفين بالأكفان لبدأ لك أنهم الموتى وقد غادروا القبور ..

والغرض ؟ إنها حرب بين عقيدتين تحاول كل منهما أن تختبر الأخرى ، وهم ينتظرون عودتك لديرك كي تخبر الرهبان بمدى قوة هؤلاء ومعجزة ما رأيت في قرية (تاشينج داتجاما) ..

عاد إلى الكوخ واستلقى على الحشية .. لا سبيل لطرد هذه الهلاوس من رأسك إلا بنوم عميق ..

الراهب ليس بارعاً في إيقاظ الموتى ، لكنه بالتأكيد بارع في تركيب الأعشاب المنومة ..

لا شك في هذا ..

تمت

إن لم ترق لك هذه الهبة ، فلنحرب الفصل رقم ٣٥

= ١٥ =

« عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق ، عندئذ يبدأ فجر النافراي »

★ ★ ★

عندما استعاد (هن - تشو - كان) وعيه عرف أنه في حضرة اللاما الأعظم ..

لقد كان الغول قائماً من على باب الدير وقد بدأ اللعب بمسجل من نابيه مختلطاً بالدم .. إن (الشوكارا) لأضعف من مواجهة هذا الخطر الفريد من نوعه ..

إن

ماذا ؟ لاحظ أن نظرة غريبة تتبدى في وجوهكم .. كأنكم تنظرون إلى مجنون ..

هل اختلطت على الأمور ؟ هل أستمع قصة لا علاقة لها بما بدأته ؟ لست متأكداً ..

لكني على كل حال لا أذكر القصة التي بدأتها .. إن الذاكرة عضو وشيخ كأي عضو آخر .. لماذا نتوقع من الشيوخ ألا تتحمل قلوبهم

عناء الركض أو التسلق ، بينما نندش جداً لو بدعوا ينسون ؟

أنا لست على ما يرام ، وسوف تقدرون هذا ..

أعتذر لكم إذن عن استكمال هذه القصة . فلنا بحاجة إلى الراحة ومراجعة الأوراق ..

تمت

إن لم ترق لك هذه الهابة ، فلتحرب الفصل رقم ٣٤

- ١٦ -

كان الأمر أقرب إلى الكابوس .. لقد انزلق (عزت) معطوم الحيلة إلى الشارع ، بينما راحت السيارة تضغط على الفرامل .. فقط لتنزلق أكثر .. واضح أن سائق السيارة لم يتعلم كيف (يشارك) على الأرضية المبتلة كما ينصح أى ميكانيكى يحترم نفسه ..

التقى الخطان لكنهما لم يلتقيا بالضبط .. وجد (عزت) نفسه على بعد متر من العجلة وتوقفت السيارة أخيراً . انفتح الباب لتثب منه امرأة ..

- « هل أنت بخير ؟ »

هز رأسه إن نعم .. ما لم يقتله هو أن السيارة مزقت جهازه العصبى ، وداست على ثباته ، وبثرت رباطة جاشه .. كلها إصابات خطيرة فعلاً .. إن مصوباته تنزف بغزارة ..

ساعدته على النهوض .. لاحظ أنها بارعة الحسنة خاصة وهو يحب ذلك الشعور العام بالبلل .. إن شعرها وأنفها يقطران الماء .

قالت له وهي تفتح باب السيارة الأيمن :

- « سوف أوصلك إلى المستشفى لو أردت .. »

- « لا .. لا داعى .. »

الحقيقة أنه كان بحاجة لشيء أقوى من ذلك ، لأن صدمة نقص

الكورتيزون بدأت تزعزع كيانه .. هو كما تعرف لا يطيق أى نوع من الانفعال .. هكذا ألقى بنفسه فى السيارة وراح ينهث ..

- « (لمياء) .. اسمى (لمياء) .. »

قلبتها وهى تجلس وراء المقود ، فلم يهتم بأن يعطى ولرجع رأسه إلى الخلف .. صوت المساحات والمطر الذى يسيل على الزجاج الأمامى ..

انطلقت السيارة فى شوارع الزمالك .. لم يكن قد قال لها وجهته ، لكن عقله كان يعمل بسرعة الآن .. حتى هذه اللحظة كانت كل لوحات (الشرشابي) دقيقة .. المرأة الحسناء .. ماذا بعد ذلك ؟ الوحش ؟ هو لا يصدق هذا ولا توجد له مناسبة ما ، لكن ماذا عن المجتر ؟ ربما هذه الفتاة ليست بالرقعة التى تتظاهر بها ..

من هو (الشرشابي) ومن أين جاء ؟ هو تحدث عن مكافأة .. بالمناسبة هل كانت تلك اللوحات التى تظهر (عزت) موجودة عندما دخل القاعة ؟ لا يظن . لكنه أراد أن يطلعه على مستقبله مجاملة لأنه أعجب بلوحاته ، وعليه أن يستفيد من هذا قدر الإمكان ..

نظر إلى الفتاة بجانب عينه فوجدما تتحسس خدها .. تعصر اللحم فى شراة .. لا احد يفعل هذا بنفسه ما لم يكن مخبولاً ..

- « لماذا تظنين هذا ؟ »

قالت وهى مستمرة فى القيادة :

- « إنها تلك الحساسية للمصاحيق .. الإكزيما .. أحياناً أشعر بأننى أريد أن أمزق وجهى .. لا تؤاخذنى .. »

- « إن لا تضعى المصاحيق .. »

- « من الأسهل ألا أعصر خدى .. »

الصورة التى رآها فى الجاليرى كانت تظهر وجه الفتاة مشقوقاً وثمة وحش يخرج من اللحم الممزق . هل لهذا معنى ما ؟

كان يزداد توتراً فى كل لحظة ، لذا قال لها فى حزم :

- « أرجو أن تعيدنى إلى الجاليرى .. أنا على ما يرام الآن .. »

- « لا تبدو كذلك .. »

- « أرجو أن تعيدنى هناك فقد نسيت شيئاً مهماً .. »

هكذا دارت بالسيارة عائدة إلى ذات النقطة التى كادت تدهمه فيها ، وسألته مرة أخيرة عن صحته فقال إنه بخير .. وسرعان ما كان قد دخل الجاليرى ثانية ..

هذه المرة كانت وجهته محددة .. للقاعة الصغيرة المتوارية التى دخلها منذ عشر دقائق ..

لم تكن هناك .. بدلاً من البارافان واللافتة وجد باباً موصداً عليه رمز بصرى يوحى بالأنثى .. حمام ! هذا ليس سوى حمام مطلق ..

لقد تلاشى معرض (عفت الشرشابي) تماماً كأنه كان هلوسة .. ربما كان كذلك .. الآن يعرف أنه مر بخبرة غير مسبوقه ..

عاد إلى القاعة الرئيسية فتجه إلى الفتاة الجلزمة أمام التلفاز وسألها :

- « كانت هنا قاعة مخصصة لأعمال الفنان (عفت الشرشابي) ..
أين هي ؟ »

هزت رأسها في مثل وقالت :

- « لا أعرفه .. »

نظر إلى الفتى مفكراً في عمق .. هنا سمع الفتاة تتكلم بصوت غريب :

- « لماذا عدت يا أحمق ؟ لقد كان الإنذار واضحاً ! »

رفع رأسه مذعوراً فوجد أن الفتاة تمد يدها إلى خديها .. كأنها
تنتزع قناعاً من فلتكس وتمزقه .. كانت تبذل جهداً هائلاً كي تفعل ذلك ..

الآن يتذكر أن هذا هو بالضبط المشهد الذي رآه في لوحة المعرض ..

هنا أطلق صرخة هائلة ..

انطلق يركض نحو باب الخروج .. ينزلق .. يركض .. حتى صار
في الشارع ..

اعتقد أنه لم يكف عن الجري حتى هذه اللحظة ..

تمت

إن لم ترق لك هذه الهدية ، فلتجرب الفصل رقم ٢٨

- ١٧ -

رحلت أدق باب (عزت) كالمجنون .. لكنه لم يرد ..

لا أعرف ما يدور ، لكنني قررت اللجوء إلى حل قلما ألجأ إليه ..
لقد تبادلنا مفتاح باب شقتي مع (عزت) منذ زمن ، لكننا أقمنا
على ألا نستعمله إلا عند الضرورة ..

هكذا أخرجت المفتاح وأولجته في القفل ودخلت .. هذه المرة
أغلقتة ورأيت ..

كانت الشقة هائلة صامتة .. الأضواء مفتوحة وهذا طبيعي بعد ما
أصابه من رعب ، لكنني تدفعت نحو غرفة نومه لأرى ما هنالك ..

مررت على التمثال أثناء مروري فبدأ لي أكثر غرابة .. كانت
الفتاة تقف وحدها صارخة .. كأنها جنت .. لقد رحل مصاص الدماء
الذي كان يقف وراءها ..

هكذا تدفعت بسرعة أكبر نحو غرفة النوم وكان بابها مفتوحاً ..

على الفراش رأيت مشهداً مريعاً .. رأيت بوضوح لأن هناك مصباحاً
خلفنا أبقاه (عزت) مضاء ..

كان ذلك التمثال من الفولاذ بجثم فوق (عزت) وقد ثبت ذراعيه إلى
جانبه وألصق وجهه بعنقه في وضع ممتاز جنير بالأفلام (هلمر) .. لم
يكن (عزت) يبدى ليلاً من لمبات المقاومة ..

المشهد واضح ..

هرعت خارج الغرفة فوجدت عصا مكنسة .. فى الصلاة ؟ نعم ..
كل شيء ممكن فى شقة (عزت) ..

عدت إلى ذلك المسخ المنهمك فهويت عليه بالمكنسة ..

تهشمت المكنسة أى صلصال هذا ؟ لكنه لم يتحرك ولم يبد أى
علامة على أنه شعر بها ..

على كل حال إذا كان هذا تمثال مصاص دماء فلا تصرف كما يجدر
بـ (فان هلسنج) .. لقد صارت المكنسة وتدا ممتازًا الآن ..

أمسكت بالوتد بكلتا يدي ثم غرسته حتى نصفه فى موضع القلب
من ذلك الشيء .. لم افعل أكثر من هذا حتى لا يخترق صدر (عزت)
نفسه ..

عندها فقط بدا كأن قواه خارت .. تهاوى جسده فوق عزت فأمكننى
أن أجره وأوجه له عدة ركلات .. ثم هرعت لأفحص ذلك الفتى ..
كان راقداً بلا حراك وصدره يعلو ويهبط ، عنقه ما زال سليماً لكنى
أدركت أن تعبيراً من الذعر والاستسلام يكسو ملامحه .. هذا العرق
البارد لا يريحنى ..

ناديته عدة مرات .. ثم قررت أن الوقت حان كى أحققه ببعض
الكورتيزون ..

هرعت إلى الصيدلية المغلقة فى الحمام وفتشت عن بعض الحقن ،
ثم ملأت محقناً ..

هناك من يقف خلفى ..

نظرت ورائى فوجدت تمثال الفتاة يقف على باب الحمام !

لم تكن تصرخ هذه المرة بل على شفيتها ابتسامة شبه مسونة ..
لكنها كما هى العادة لا ترى ..

كأنت تتقدم منى ببطء .. ببطء ..

لا بد من حل .. لكن ما هو ؟

نظرت إلى حوض الماء .. إن الساخن معتلى بالماء الساخن ..
هناك دورق كبير موضوع إلى جوار الصنبور .. هكذا ملأت الدورق
بالماء الساخن بسرعة .. بسرعة .. نحن فى الليل حيث اندفاع الماء
ممتاز وإلا لاحتجت إلى أسبوع ..

للسخان يتصاعد من الدورق الذى صار أداة قتل حقيقية ، لكنى لم
أصوب نحو وجهها للمخيف .. صوبت على القدمين لأغرقهما بهذا
الماء الذى تتأثر بعضه ليلسع ساقى ..

بدأ الصلصال ينوب .. وتهاوى التمثال على الأرض .. لكنه ظل
يمد يده محاولاً الظفر بى ..

ملأت الدورق مرتين وصبته على المسخ الراقد على الأرض ..

أخيراً تمكنت من أثب فوقه عائداً إلى (عزت) ..

فى اللحظة التى تعالى فيها صوت يعبث فى باب الشقة .. الأخ
الثانى يحاول الدخول وقد أدرك أن الصيد طار ..

جريت إلى حيث كان (عزت) فأفرغت المحقن في ذراعه ثم طلبت منه أن ينتظر .. عدت إلى الحمام فملأت الدورق من جديد ومشيت في حذر إلى باب الشقة .. فتحت الباب باليد اليسرى وعندما ظهر للوجه المربع قذفت بمحتوى الدورق فيه ..

من جديد بدأ للصلصال بذوب .. رأيت الهيكل الذي صمم (عزت) التمثال حوله .. ما هذا بالضبط ؟ عدت إلى غرفة النوم لأحضر المكنسة المهشمة وأولجتها في صدر ذلك التمثال شبه الذئب ..

ثم إنني جررته إلى داخل الشقة وأغلق الباب في الوقت الذي جاء فيه (عزت) مترنحا من غرفة النوم يتساعل عما يحدث .. لم يعرف أى شيء على الإطلاق .. صحت وأنا أظن كتلة الصلصال :

« ما هذا الهيكل الذي وضعت الصلصال حوله ؟ »

قال في شيء من الارتباك :

« عجينة ورق .. بعض الخشب والمسك .. »

« وعجينة للورق هذه ؟ من أين جئت بها ؟ »

« هذه أشياء اشتريتها بالكيلوجرام من الباعة .. أعتقد أن هذه كانت كتباً قديمة مصفرة مكتوبة بلغة لا أعرفها .. »

« ألم تجد خيراً من كتب سحر قديمة كي تستعملها في صنع تماثيل لمصاصي دماء ؟ »

« لم أعرف هذا .. قلت إنها لغة لا أعرفها .. »

ثم نظر إلى الصلصال الذائب والفوضى في كل مكان .. عندها بدأ يدرك ما حدث :

« أيتها القاتل ! أنت دمرت تماثيلي ! دمرتها ! »

ثم سقط جاثياً جوار الجثة التي فرغت من طعنها وصرخ :

« كانت تحفة فنية وأنت دمرتها في دقائق .. لم تكف بالماء الساخن ، بل مزقت ما بقي تمزيقاً .. إن أمثالك يجب أن يشنقوا في ميدان عام ! »

وجدت نفسي أغادر الشقة مصحوباً بلفاته وسبابه ..

لكنني قدرت أنه سيرى الأمور بمنظار أفضل في الصباح ..

تمت

إن لم ترق لك هذه الهاية ، فنحرب الفصل رقم ٢٩

- ١٨ -

لم أقتنع بحرف مما قاله لى (عزت) ، وكانت تجربتى عملية جداً .. لقد نزلت معه إلى الشارع ورحنا نمر جوار القنطرة حول صناديق القمامة . سألته عما تفكر فيه فراح ينظر لى فى حيرة ..

كان هناك حمار يقف جوار الرصيف مربوطاً لعربة جر ، فسألت (عزت) عن رأيه .. قال فى تردد :

- « أعتقد أنه متضايق من حياة العبودية تلك . »

قلت فى بسمة انتصار :

- « هل رأيت ؟ كنا نملك قطباعات معينة عن أفكار الحيوان . ولنت طبق ما فى عقلك الباطن .. لا أحد يقبل ألا يكون الطاووس مغروراً والحمار متضايقاً من عبوديته . أرجو أن تسمى هذا للهراء .. »

- « وماذا عن تلك التعويذة التى حصل عليها (أنيس) رحمه الله ؟ »

- « أعتقد أنه لا يعرف كنهها .. إنها مجرد قطعة أثرية ثمينة لابد أنه ابتاعها فى الخارج .. ولو كنت مكاتك لأعديتها لوريثه لأنها قد تساوى أكثر من كل العقارات التى يفتش عنها .. »

قال فى ضيق :

- « هذا الحيوان لا يستحق حتى الهواء الذى يتنفسه لكك محق .. »

هذا فى النهاية مل .. ومل ليس من حقى ..

- « لصنت القول » -

هذا هو (عزت) الذى أعرفه .. قد يكرهك بجنون لكنه لا يقبل مليماً لا يستحقه منك ..

أقترح أن نمر على بيت (مصطفى) لنخبره بالأمر فنحن قريبان منه جداً ..

قلت فى تحفظ إننى لن أصعد معه لأنه لا علاقة لى بالرجل ..

هكذا وجدنا أننا نجتاز شوارع حى المهندسين .. من الغريب فعلاً أن يتواجد الابن وأبوه فى نفس الحى ولا يزور الأول الثانى ..

انتظرت فى مدخل النهاية الفاخرة على حين ركب (عزت) المصعد .. كانت الساعة العاشرة مساءً وقدت أن (مصطفى) هذا لم ينم بعد .. وقفت أنتظر وأراقب الشارع .. فجأة لمحت سهم المصعد يشير إلى النزول ..

(عزت) يظهر على باب المصعد .. إذن كان (مصطفى) خارج البيت .. لا شك فى هذا ..

لكن هناك شيئاً خطأ .. إنه ممتنع الوجه مرتبك ..

هرع نحوى وطلب منى وهو يلهث أن آتى معه .

من جديد ركبنا المصعد إلى الطابق الرابع حيث جاء ..

- « ماذا حدث ؟ »

« سم .. سم .. ستري بنفسك ! »

كان الباب مفتوحاً .. دخلنا بحذر .. وعلى ضوء البهو الخافت رأينا الرجل .. أعنى أننا رأينا رجلاً لأننى لم أر (مصطفى) هذا من قبل .. كن راقداً على بطنه وسط المكان والدم ينزف من رأسه بلا توقف .. هذه علامات اعتداء لا شك فيها .. لكنى لم أجد أية أداة تسمح بضربه هكذا ..

يا لها من كارثة ! أعتقد أننا تورطنا بما فيه الكفاية فى هذه القصة .. زحلت نحو الرجل وتحسست نبضه فوجدت أنه حى .. هو فى غيبوبة لكنه حى ..

لغلت يدي فى منديل واتجهت إلى الهاتف لأطلب الشرطة ..

« قلت لى ما العنوان يا (عزت) ؟ »

أملأتى (عزت) عنوان البناية وهو يرتجف ..

وضعت السماعة ورفعت عيني لأجد أنى أحدى فى عيني وامسعتين هيابتين لقط شيرازى ضخم جاء من داخل الشقة، ووقف جوار الجدار يراقبنا كأنه يخشى أن يلوث قدميه بالدم ..

قلت فى سرورى :

« يبدو أنه رأى ما حدث .. ترى ماذا رأى ؟ من المؤس أن الشاهد الكامل يكون أخرس غالباً »

قال (عزت) وهو ينظر لوجهه فى المرأة :

« كان يدعوها (فاتن) ! »

التفت للخلف فى دهشة فعاد يقول :

« هذا ما يفكر فيه القبط . (مصطفى) كان يدعو الفتاة التى ضربته باسم (فاتن) ! »

« هل تمزح ؟ »

لكنه لم يكن ينوى هذا .. فقط مد يده وحمل القبط المسالم وضعه إلى صدره ..

بعد نصف ساعة جاء رجال الشرطة ..

عندما تبدأ النيلة بجريمة قتل فإنها لا تنتهى أبداً .. وقد حكينا لرجال الشرطة ذات القصة عشر مرات .. بينما حمل الإسعاف الجريح إلى سيارتهم ..

وجدت (عزت) يوشك على أن يحكى قصة القبط ، فقلت له همماً :

« اصمت يا أحمق . سوف يحملونك إلى المصحة العقلية حملاً .. أعتقد أن الرجل سيستعيد وعيه وسوف يتكلم ، فإن لم يفعل يمكنك التقييم بهذه المجازفة .. ليس الآن .. »

قلت لها بينما تلك المرأة الحسناء الملهوفة التى جذبها رجال الشرطة

تصرخ وتولول وتلطم خديها .. أداء هستيرى رائع بحق . فقط لو لم يكن اسمها مدام (فاتن) مطلقة (مصطفى) ..

نظرت لها بصق وعرفت أنها هي .. لمسة التمثيل هذه واضحة جداً لكن ليس بوسعنا حمل شيء ..

★ ★ ★

بعد يوم فتح (مصطفى) عينيه في المستشفى وقال لوكيل النيابة :

- « (فاتن) فعلتها .. جاءت شفقتي تتكلم عن ميراث لبي ودارت بيننا مشادة .. لم أتصور أنها ستلتقط تلك المزهريّة وتهوى بها على مؤخرة رأسى .. »

لقد افترضت المرأة أنه مات ، وجمعت بقايا المزهريّة وأخفتها في حقيبتها لأنها قدرت أن بصماتها على كل الأجزاء المهيّمة ..

لم نستفد كثيراً بشهادة القط ، لكنها كانت قريبة حاضرة لو أعوزنا البحث ولو كان (مصطفى) قد مات فعلاً .. فقط كان من الصعوبة بمكان أن نجد محكمة تأخذ بشهادة قط شيرازى وجل .

قلت لـ (عزت) وأنا أتفحص ذلك اللوح :

- « لقد صدقت الكلمات . لكن يبدو أنه لا يصل في كل الأحوال .. »

قال بصمّا :

- « لو كان يعمل طيلة الوقت لجنت .. تصور كم الأفكار التي كنت سأسمعها من الذباب والصراصير في المطبخ .. بالمناسبة الذباب كثير جداً القليلة .. هش .. هش ! »

وارتطمت يده بالنوح الصلصالي الذي أضعه على حجرى ..

كراش ش ش ش !

تمت

إن لم ترق لك هذه الهابة ، فتحرب الفصل رقم ٣٠

-١٩-

« النافاراي يقتل من استضافه .. رجل البحر الأسمر يلتقي حنّفه على يد زهرة زرقاء عندما يعود تنسخ اللاما إلى صهي من (لهاسا) .. »

* * *

كما حكى لي (هن - تشو - كان) فيما بعد كنت أتصرف بغباء غريب ..

اتصلت به عدة مرات كي يزورني ثم قررت أن أزوره فلم أجده .. الحقيقة أنه تظاهر بأنه ليس في البيت ..

كانت الفكرة تؤرقه . الرجل الذي استضافه هو أنا .. استضافته يوم جاء إلى مصر مذعورا يتظاهر بالخرس .. وأنا جدير بلقب الرجل الأسمر ..

لقد ظهر اللاما في (لهاسا) . سواء كان هذا حقيقيا أم لا فلا شك أن البوذيين يعتقدون هذا . إذن هو موعد تحقق النبوءة .

كان غارقا في هذه الأفكار وهو يمشي في الشارع عندما رفع رأسه ليجدني أمامه ..

صحت في مرج :

« هللتذا ! من الصير أن لصقك في مصر منذ شهر ولما نلتق ! »

حياتي في ارتباك بهرّبته للمميّزة وقال :

« كنت مشغولا يا (ريفات) .. »

أصررت على أن أدعوه على الغداء .. لن أتركه .. كان يحاول التملص لكنني كنت غبيا ككل أبطال هذه المواقف ..

ظل ساهما طيلة الوقت .. وعرضت عليه أن يذهب معي إلى قريتي بضعة أيام ، فكان حادا جافا في الرفض بطريقة أدتني .. لم أفهم سبب هذا التوتر .

هكذا قررت أن أتركه وشأنه بعض الوقت . أنا غير ودود بطبعي ، لكنني أتوقع مودة بالغة مع من أظهر لهم صداقتي .. كنت عدوانيا وأنا أخبره بهذا فلم يجد مناصا من أن يحكي لي كل شيء ..

أصغيت للقصة بعض الوقت ثم قلت له وأنا أقود سيارتي خارج للضاحية :

« أعتقد أنني ظلمتك .. لكن دعني أكل لك إتني لا أؤمن بحرف من هذه النبوءات .. لا أعتقد أنه من الممكن أن تقتلني لأي سبب .. دعنا ننص هذا الكلام الفارغ .. »

قال في حيرة :

« النصور الحديدية تحلق في سماء التبت والخيول ذات العجلات .. لو لم يحدث هذا لصرت مطمئنا .. »

« البيونية لم تغادر التبت لتستقر في الهند . هذا جزء لم يحدث .. »

كنا الآن نقطع طريقاً ضيقاً وعراً .. لقد ابتعدنا عن العمران كثيراً جداً .. لا أعرف ماذا جاء به إلى هنا .. لكنني قدرت أن من الواجب العودة .. كانت هناك صخرة تسد الطريق أمامنا .

وكان هناك (خص) على جانب الطريق يجلس أمامه رجل غليظ الملامح والشارب أسمر اللون يبدو كأنه من عمال الطرق ، فأوقفت السيارة واتجهت نحوه .. سألته عن طريقة للخروج من هذه المقاطعة ..

قال لنا :

« تفضلوا واستريحوا أولاً .. لا بد من شرب الشاي ثم أخبركم بطريقة العودة .. »

لم تكن راغبين في هذه الدعوة ، لكنني بيني وبينك أعشق هذا النوع من الشاي الذي يعد على (الراكية) .. إن له مذاقاً فريداً .

قال الرجل وهو يضع البرد على النار :

« هل صاحبك غير مصري ؟ »

هزئت رأسي أن نعم .. لو لم يكن قد عرف هذا فهو في ورطة ..

قال الرجل وهو يدير ظهره لنا :

« أنا لا أحب أن أفسد كرم الضيافة ، لكن كل سنة وأنتما طيبان .. تريد الحلوان ! حلوان خروجكما من هنا سالمين ! »

وعندما استدار كان يصوب نحونا رشاشاً ألياً من طراز (بور سعيد) الطراز الذي يسرقونه من الجيش ويبيعونه في الصعيد ..

هذا سطو مسلح .. لقد كنت غيباً .. لكن هذه الأمور تنتهي على كل حال .. سوف ألقط ساعتي وما معي من مال ، لكنه لن يأخذ للسيارة على الأرجح ..

لكن الكاهن الأخير كان له رأى آخر .. لقد وقف وباعد بين مساقبه وصاح :

« نأنا سارايانا ! »

قال الرجل وهو يصوب الرشاش نحوه :

« قل لهذا المخبول الأصفر أن يسمع الكلام ! »

« كيو سارايانا ! »

« سوف أطلق الرصاص .. أنا لا لمزح ! »

« جوقغ سارايانا ! »

وانطلق الرصاص لكن الكاهن الأخير لم يكن هنا ليلتقاه .. كان قد حلق في الهواء فوق رأس الرجل ثم وجه له ركلة عاتية في عنقه جعلته يطير في الهواء ليضرب جدار (الخص) ويهشم جزءاً منه ، ثم سقط على ظهره .. ضربة واحدة لكنه لم يعرف أنه تلقاها ..

وقف (هن - تشو - كن) يرمى المشهد ثم قال بطريقة الركبة :

« أنا لضرب سيئ .. »

قلت وأنا أتفحص للجثة :

« فى الحقيقة أنت تقتل سيئ ! لقد مات ! »

« وجهت ضرباتى لمنطقة (كورا) التى تؤدى للموت .. لا وقت

لتضييع الضربات عندما يتعلق الأمر بمسلاح نارى »

عندما عدنا أخيراً واتصلنا برجال الشرطة ، قضيت يوماً مرهقاً

بحق وسط تحقيقات لا أول لها ولا آخر .. كانت حالة دفاع عن النفس

واضحة ، وقد عرفوا قاطع الطريق على الفور .. إن سجله كان

حافلاً ..

وسط الزحام نظرت للكهن الأخير مفكراً لمسألتي عن سبب شرودى ..

قلت :

« الفأفأراى قتل مضيفه .. ألم تلاحظ هذا ؟ الرجل الأسمر لقي

حنقه على يد الزهرة الزرقاء هل تعرف اسم هذا الرجل ؟ .. »

نظر لى متسائلاً فقلت :

« اسمه رجل البحر ' بعبارة أدق اسمه (سليم البحرلوى) ! »

تمت

إذ لم ترق لك هذه الهبة ، فلتجرب الفصل رقم ٣٠

— ٢٠ —

شعرت بالخجل من نفسى .. أملأ الدنيا صراخاً بالتشدد بمنطقى

العلمى ، ثم أراجع على الفور عند أول اختبار .. الرجل الذى لا يكف

عن القول إن الثعابين فى منطقته غير سامة ، ثم يثب فى الهواء

مترين عندما يرى أول ثعبان ..

هكذا هزرت رأسى وظننت من (ماجى) أن تعيرنى للكشاف الذى

تحمله فى حقيبتها ..

لشعلت لفافة تبغ فطلبت منى المرأة لفافة تبغ أخرى .. ناولتها

واحدة وناولتها النقاب لأن يدي كانت ترتجف .. ثم قررت أن أترك لها

العلبة كلها .. هكذا باعدت بين ساقبها وهى جالسة ووضعت العلبة

فى حجرها ..

دخلت الغلبة تارخاً (ماجى) مع السيدة تخبرها أن (رفعت)

للطريت سوف يجد الطفل حتماً . إنه يجيد هذه الأشياء ..

أشجار فى كل مكان .. يسهل أن يضل المرء طريقه فعلاً هنا

خاصة فى الظلام .. هكذا أخرجت مفتاحى ورحلت أحك علامات

واضحة على طبقة الطحلب التى تكسو الأشجار التى أمر بها ..

علامات على شكل أسهم تحدد الاتجاه ..

عندما توغلت بما يكفى رحت أنلدى (داتيل) بأعلى صوتى ..

كنت أواصل البحث عندما تذكرت شيئاً من أدب (مارك توين) ..

قصة (هاكلبرى فان) بالذات .. هكذا تحفيت على الأرض والتقطت
صخرة كبيرة لها وزن مطمئن ..

رحت أركض عائداً عكس اتجاه الأسهم ، وكانت لياقتى وقتها عالية
فلابد أننى عدت من ذات الطريق فى ثلاث دقائق ..

أخيراً خرجت من نطاق الأشجار .. وكان ما رأيته كما توقعت .

(ماجى) تحاول التملص بينما تلك السيدة تضع يدها على فمها ،
والغرض أن تجعلها تستنشق منديلاً يغطى الأنف . كانت السيدة قوية
(ماجى) هشة لذا بدا أن الصراع لن يدوم ..

أخيراً سقطت (ماجى) على الأرض وقد فقدت الوعي ..

قبل أن تتخذ السيدة خطوة أخرى كنت قد هويت على رأسها من
الخلف بالصخرة .. كان الجنون والغضب يعيقنى لهذا كانت الضربة
شبه قاتلة ..

وسقطت المرأة على الأرض ليسقط الشعر المستعار ، وينفتح
المعطف الثمين كاشفاً عن جسد رجل مكتنز بالعضلات ..

أخيراً أرى الوجه الراقد على الأرض الذقن الحليقة بعناية .
الملاح الصلبة .. ماكياج كامل جعل منظره يبدو غريباً ..

كان ينزف من مؤخرة رأسه فخشيت أن أوحه ضربة أخرى ..

الآن (ماجى) تستعيد صوابها بعد ما زال تأثير الكلوروفورم .
تمسك برأسها الذى لا يبدو أن عنقها قادر على حمله ..

قلت لى وهى تلهث :

- « رجل ! كنت هذه خدعة ! »

قلت :

- « لقد خدعنا مغا . لكنى إذ مشيت فى الغابة تذكرت قصة
(هاكلبرى فان) . تنكر (هاكلبرى فان) فى ثوب فتاة ، لكن امرأة
عجوزاً قوية للملاحظة رأت كيف يشعل الثقب .. اللغتيات يشعلن
الثقب بإبعاده عن وجوههن بينما الرجال يشعلونه نحو وجوههم ..
الرجال الذين يلهمسون جلابياً يفتحون سيفاتهم ليضعوا الأشياء فى
حجرهم وهم جلوس ، بينما النساء يضمنن سيفاتهن على الأشياء
الموضوعة فى حجرهن ..

فى هذه الثواني أظهر الرجل علامتين من علامات (مارك توين) ،
لكن لم أكن لأشك فى شيء لو لم تضعنى (المدام) فى هذا الجو من
التوتر النفسى وتوقع الخطر . دعك من تردها (نعم يتعلق برجل .
لا . بل يتعلق بالمرأة .. امرأة لا أرى وجهها بوضوح ..) ..

أعتقد أننى مدين لهذه المرأة لأنها جعلتنى أعود .. جعلتنى متوتراً
غير قادر على ابتلاع هذه الخدعة ..

قالت (ماجى) وهى ترمى الرجل الراقد على الأرض :

- « كنت محقة . لحدنا ما كان ليرى النهار .. لابد أن هذا مساح
لو شيء من هذا القبيل .. »

قلت وأنا أتأبط ذراعها :

- « على كل حال يجب أن نسرع قبل أن يفوق .. لابد من جلب رجل شرطة أو اثنين .. »

فجأة سمعت صوت البكاء قادمًا من الغابة ..

اجفلت ونظرت للوراء وكذا فعلت (ماجى) ..

هذه المرة رأيت طفلًا فى السابعة من عمره يبكى وهو يخرج من بين نطاق الأشجار ..

صاحت (ماجى) فى ذهول :

- « هل أنت (دانييل) ؟ »

صاح الطفل وهو يغطى عينيه الدامعتين بقبضتيه :

- « أمى ! لقد دخلت الغابة لتلبى نداء الطبيعة وطلبت منى أن أنتظر ! لكنها لم تعد ! أنا خائف يا سيدى .. خائف ! »

تمت

إن لم تروق لك هذه النهاية ، فتجرب الفصل رقم ٣٧

- ٢١ -

هكذا رحت أركض عبر ممرات القصر .. تسلحت بشمعدان ثقيل على المائدة ، ثم اتجهت إلى الغرفة التى اتخذتها لها ..

يبدو أن (أندرو) كان محقًا .. ولربما لو قضيت ليلتى فى غرفتها لما حدث شيء .. أيا ما كان ما يحدث بالداخل فهو شريع .. دعك من لئلى أنا بلذات لا أجد له تفسيرًا

هل أفتح الباب لأجد ذلك الشيطان ذا العباءة منحنيًا على عنقها ، ثم يشعر بى فيطلق فحيحًا كالقطط ، ويتحول إلى وطواط يحلق مغادرًا من النافذة ؟ لو كان الأمر كذلك فإن الحياة مسئلة حقًا

لكنى على الباب لم أحب كثيرًا تلك الأصوات الصادرة من الداخل . اللحظة الأولى فطنت إلى حماقى .. إن أبسط الاحتمالات طرًا هى أن يكون المتسلل لصًا ، فكيف أواجهه بهذا الشمعدان ؟

جريت عبر الممرات إلى غرفة (جراهام) فقرعت الباب وركلته حتى فتح أخيرًا .. الخادم البريطانى الوقور وقد عقد الروب حول خصره يصع يده على فمه غير مصدق ، فهو لم يرنى فى هذا الجزء من القصر منذ ولدت .. قلت له أن يأتى معى لأن ضيفتنا فى خطر . كنت أعرف أن لديه مسدسًا ..

هكذا جرى معي إلى غرفة (إليصابات) . قرعت للباب مرة ولم أنتظر ردًا وأمسكت بالمقبض وفتحتة .. أضأت النور وألقيت نظرة على الغرفة الفسيحة ..

لا يوجد شيء مريب أو غريب .. هناك جسد نائم في الفراش .. إنها هي .. دنوت منها وتحصت عنقها فوجدتها نائمة في عمق ، .. لكنها كانت أكثر شحوبًا والعرق البارد يبلل الوسادة ..

إلى أين ذهب المتسلل ؟ راح (جراهام) يبحث وراء الستائر وفي خزانة الثياب وتحت الفراش .. إن الشرفة مواربة ويسهل للمتسلل أن يغادرها فقط لو صار له جناحان ..

خرجت إلى الشرفة التي يفمرها ضوء القمر ، ونظرت منها .. كان هناك إفريز خارجي يمكن المشي عليه بشيء من الرشاقة .. أعتقد أن هذا كان سبيل المغادرة ولا شك ..

ماذا نفعل بعد هذا ؟ نطلب الشرطة ؟ لا أعتقد .. إن فكرة اللصوص تضايقتي فعلاً .. لكن كيف أثبت أنني لم أكن أتوهم ؟

قلت لـ (جراهام) :

« لا أعتقد أنه من الحكمة تركها .. سوف أمضي الليل معها ما بقي منه .. لن أتصل بخطيبها الآن فلن يستطيع اللحاق بي في ساعة كهذه .. »

هز رأسه في وقار وقال بلهجته الأكسفوردية :

« إن هل تسمح لي أنستى بأن أترك أنستى كي أحظى بساعتين من النوم ؟ »

بدأ لي غيابه غير محبب ، لكنني وافقت على كل حال بشرط أن يترك لي المسمس (الذي لا أعرف كيف أطلقه) .. وهكذا أضأت الغرفة وجلست إلى مقعد يستند إلى الجدار بحيث أرى الفراش بوضوح ، وكانت هي نائمة كالأطفال .. منهكة كما هو واضح . وتساءلت عما إذا كان قلبها يتحمل المزيد من فقد الدم ..

من الذي تسلل للغرفة ؟ هذا لغز حقيقي هل هو (جراهام) نفسه ؟ إن الإفريز يصل إلى شرفة غرفته .. لكن لماذا يفعل ذلك ؟ هل المتسلل لص ومجرم هنا فخر ؟

على كل حال لقد اقترب الفجر وصار على أن أنتهي بسرعة .. كان الأمر مرهقًا في البداية حينما كان على أن أذهب لبيت صديقتي كل ليلة . اليوم هي غدى ومتاحة لي في أي وقت .. نهضت فتناولت منشفة وطوحتها لتداري عذمة الكاميرا .. ليس هناك شهود لكنني لا أريد أن تظهر هذه اللقطة على الشاشة . هكذا نهضت إلى الفراش ووضعت ركبتي على الوسادة جوارها ، ودنوت من عنقها وبدأت أتناول وجبتي ..

لن تفهمنى يا (رفعت) .. لقد تغيرت جداً عن الفتاة التى عرفتها .. لكن فلتعلم أن حياة الوحدة وكل هذه الأسباح تحدث الأعاجيب فى نفسية المرء .. دعك من أن هذا هو التعبير الأسمر للصدقة .. إن (أليصابات) تجرى فى عروقى حرقاً الآن !

لن تستطيع أن تفعل شيئاً لأن أحداً لن يصدقك .. ولنسوف أقسم على أن هذا الخطاب دعابة لا أكثر لو أنك تكلمت .. فقط أردت أن تعرف حقيقة جديدة من حقائق الحياة ، ولتحمد الله على أننى لست بجوارك الآن .. من يدري ؟ ربما أفعل هذا فى وقت قريب !

تمت

إن لم ترق لك هذه الهبة ، فلتحرب الفصل رقم ٣٦

- ٢٢ -

مشيت شاردا للذهن مع الفتى فى شوارع الزمالك .. كنت أفكر فى هذا الكلام الغريب الذى حكاه لى وبدأ الأمر أقرب إلى السخف ..

قال وهو ينظر إلى السماء ويجفف عرقه :

« ما أشد الحر ! يوشك الأسفلت على أن يشتعل ! »

من جديد تحقق الكابوس .. لقد بدأ الحر يزداد ويزداد ثم فوجئت بأن النار تشب فى أسفل الطريق .. فجأة تحول إلى قطران سائل مشتعل يصلح لمهاجمة قلاع القرون الوسطى ..

قلت فى ذعر وأنا ألبس إلى الوراء :

« خذ الحذر .. لا أصدق ما أراه لكنك قلار على وقفه ! »

صاح وهو ينظر حوله :

« لقد عادت الحرارة لمعدلاتها الطبيعية ! »

هكذا انطفأت النيران .. لم يبق إلا رائحة الشياط ..

هذا لا يصدق .. هذه قوة لا يمكن وصفها ..

قال لى وهو يجفف عرقه من جديد :

« لكن لا أستطيع أن آمر الأشياء .. لا أستطيع أن أمر النار بأن تنطفئ .. فقط يجب أن يكون كلامى مجترياً .. مثلاً لو أردت أن تمطر السماء .. »

قلت له بسرعة كي لا يتكلم أكثر :

- « صه ! لو أردت أن تمطر السماء فأنت لا تأمرها بذلك .. بل تقول شيئاً على غرار : إن المطر غزير .. هذا مفهوم .. مفهوم »
- « نعم .. »

- « وما سر قلقك من هذه الموهبة العجيبة ؟ »

- « أنتي صرت أحياناً متوتراً .. أخشى أن أقول شيئاً خطأ .. لقد صار لسألي خطراً كالنهب .. »
وضعت يدي على فمه منفرأ :

- « لا تتكلم يا أحمق ! كنت ستقول : صار لسألي خطراً كنهان .. ترى ماذا كان سيحدث ! »

اتسعت عيناه في رعب ، وقال :

- « نعم .. نعم .. نسيت ذلك .. الآن أنت تفهم مشكلتي .. »

في هذه اللحظة سمعت صراخاً وصوت خطوات ، فنظرت إلى الوراء لأرى ذلك اللص يركض ومن خلفه نحو عشرة رجال من المتحمسين .. في يده حقيبة وهو رشيق الحركة كما يليق بلص .
واضح أنه سيفلت ..

قلت له (هن - تشو - كان) همساً :

« هل ستبدأ (السرايقا) ؟ لنكر موقفاً معطلاً منذ لقينا الأول .. »

قال بلهجة :

- « لم يعد هناك داع لهذا الآن .. إن هذا اللص ضعيف معدوم اللياقة وسيقع في أيدي مطرديه »

منبهراً رأيت اللص يمسك بصدرة كآته يجاهد من أجل التنفس ، ثم يسقط أرضاً وهو يسعل كآته يغى إخراج رلتيه . وسرعان ما لحاظ به العشرة ليومعه ضرباً ..

إنها طريقة سهلة جداً . من السهل بهذه الطريقة أن تسحق الجيوش وتملك الثروات .. إذن لماذا وقف الرهبان خائفين تاركين الصينيين يذنبون ديرهم ؟ يذنبون التبت كله ويطردون (الدلاي لاما) ؟

نقلت له هذا التصاؤل فقال شارده الذهن :

- « حقاً لا أعرف . يخيل لي أن هذه القلادة لا تعمل إلا معي . من يدري ؟ ربما كنت تنتظرنى كى هذه السنين . أعتقد أن الكاهن عرّض عندما رآنى .. »

ومرت بنا فتاة حمراء لم ألاحظها ، لكنه انتفت لها وبدأ عليه الارتباك وقال :

- « لا أعرف كيف تسمح فتاة لنفسها بأن تمشى عارية بهذه الطريقة ! »

سمعت الصرخة الانبوية المذعورة المصدومة من الخلف فاستدردت

مندهشًا ، لكنه جرنى من ذراعى وركض مبتعدًا وقد احمر وجهه ..
فقط راح يغمغم وهو يواصل الركض مصححًا ما ارتكبه من خطأ :

« إنها تلبس ما يكفيها من ثياب ! تلبس للكثير جدًا ! »

أخيرًا وقد صرنا فى مكان بعيد آمن ، طلبت كوبين من العصير ،
وقلت له إننى أفهم جيدًا مشكلته لكنى لا أراها مستحيلة الحل ..

« فقط سوف تقول إن القلادة ستعود لصاحبها الأصلي .. أعتقد
أن هذا ينهى كل شيء . »

« ربما كان صاحبها الأصلي شرييرًا .. »

« إذن قل إن القلادة ستعود لراهبان الدير الذى تعرف أنت اسمه .. »

رشف رشفة من العصير وقال إن له مذاق عصير الشجر المختمر ..
طبعًا لم أجسر على لمس كوبى فقد صارت رائحته لعينة ومنظره ألعن ..

مد يده فى جيبه وأخرج القلادة ووضعها على المنضدة .. ثم قال :

« كالعادة أنت مفيد لى يا (ريفات) . لو أردنا دقيقة لجعلتك تمت .. »

صحت فى هلع :

« أرجوك لا تذكرنى بخير أو بشر .. لا تقل إننى أصلح تمثالاً من
فضلك لأن حياة التعاتيل ستكون مملة جدًا .. فقط قتله من هذه القلادة
سريعًا .. »

رشف رشفة أخرى من العصير وقال :

« بالفعل هى خطرة .. منذ وجدتها وأنا عاجز عن فتح فمى .. »

لم أفطن إلى للكارثة إلا متأخرًا جدًا .. فقط عندما سمعت له
(مميم !) فطنت لمضى العبارة .. ورفعت عينى لأجدته محتقن
الوجه والعصير يسيل من ركنى فمه ، ويبدو أنه يبذل جهدًا حقيقيًا كى
يفتح فكه ..

إنها كارثة حقيقية .. الطريقة الوحيدة للخلاص من هذه التعويذة
هى أن يتكلم .. وكيف يتكلم وقد أغلق فمه للأبد ؟

مددت يدى لمساعدته على النهوض .. لاهد أن أحد أصدقائى من
جراحى اللغم والأسنان قادر على حل هذه المشكلة وإلا نحن فى ورطة
حقيقية ..

ورطة تعجز عن وصفها الكلمات !

تمت

إن لم ترق لك هذه الهاية ، فتحرب الفصل رقم ٢٧

قلت مقتظاً :

- « الموتى لا يغادرون القبور إلا يوم القيامة .. كفى عن هذا .. »
نهضت بسرعة وصعدت الدرج فى ضوء الشمعة .. ثم فتحت نافذة
صغيرة هناك وألقت نظرة إلى الخارج .. ثم هتكت :
- « (رفعت) .. تعال وألق نظرة .. »

هرعت ألحق بها ونظرت من تلك النافذة الشبيهة بكوة تطل على
الخارج .. إنها ترتفع أربعة أمتار عن الأرض وتطل على مدخل القلعة ..
ما رأيته كان غير بشرى .. هذا مشهد من كابوس لا شك فيه ..
الظلام يعم الفناء لكنك ترى تلك الأجساد المشوهة التى تتحرك
كالعصيان ، وعددها لا يقل عن عشرة .. إتهم يتزاحمون ويتخبطون
ويحاول أحدهم أن يلقى الباب .. بالواقع يحاول أن يفتحه ..
ما هذا الذى يجرى ؟

- « إتهم لا يبدون أحياء ! »

أجفنا لدى سماع هذا الصوت ، ثم أتركنا أنه (جراهام) رئيس
الخدم الذى جاء يركض من الطابق العلوى وفى يده بندقية .. قل
وهو يقف وراء الباب :

- « سمعت للضوضاء من أعلى . ونظرت من النافذة فوجدت هذا
المتشهد الذى لا يوصف إلا بالفرابة .. أعتقد أن سيدتى الصغيرة
سوف تسمح لى بأن أقترح أن نتصل بالشرطة .. »

- ٢٢ -

قلت لها فى غيظ :

- « لا تحدثينى عن (ساوين) هذا من فضلك .. إله وثنى كان
الكلت بعدونه لا أبنى أية استنتاجات على هذه الخرافات .. »
كان وهج اللهب فى المدفأة يترقق على وجهها وهى تقول :
- « لا أعنى (ساوين) ذاته أعنى أن هذه التعويذة ذات تأثير
شرير ما .. يبدو أنها مهمة فى العقائد الدرويدية »
- « تأثير شرير مثل ماذا ؟ »

- « مثل هذا .. »

قالت لها وهى تنظر إلى الجدران بالفعل كانت القاعة ترتج ..
وسمعا صوتاً غير آدمى يصيح من الخارج .. أعتقد أنها كانت عدة
أصوات كأن هناك مظاهرة صاحبة حول قلعة

نظرت لها فى حيرة فقالت :

- « فى هذه الليلة يحاول الموتى .. يحتوا أجساد الأحياء .. هل
نسيت ؟ »

- « كنا نتحدث عن ليلة الهانويين . ليلة ٣١ أكتوبر .. ليست هذه
الليلة على كل حال .. »

- « أعتقد أن التعويذة هى نداء لشيء مماثل .. »

هزت رأسها مذعورة ..

قال الرجل وهو يفتلس للنظر عبر نافذة شغافة في أعلى الباب :

- « من هؤلاء ؟ من أين جاؤوا ؟ »

قلت في حيرة :

- « وكيف جاؤوا بهذه السرعة ؟ »

قالت (ماجى) :

- « لأن أحدهم قرأ الكلمات المكتوبة على تعويذة كلتية قديمة ..

هل نسيت ؟ »

ثم التفتت إلى (جراهام) وقالت بلهجة أمرة :

- « (جراهام) ... أرجو أن تطفى المدفأة وكل الشموع .. »

- « سيدتى ؟ »

- « افعل ما أقول لك . سوف نلتزم بالأسطورة حرفياً .. يجب أن

تكون القلعة مظلمة باردة . بعد هذا سوف نفر من هنا ونشعل نارا

في الخلاء .. هات سائل إشعال الموقد وثقلنا وقودنا إلى مخرج القلعة

الذي يقود للبحيرة »

ظلمت صامتاً وإن عرفت بسهولة من صار القائد هنا .. لقد أخرجتني

عدم الفهم وأخرجتني الذعر ، أما هي فكانت وثقة هائلة الجنان ..

صفات القائد بلا جدال ..

كان الظلام دامساً الآن لا نهتدى إلا بضوء الكشاف ، بينما نحن
نهرع إلى ممر قديم في القلعة .. ممر من تلك المعمرات التي تصطف
دروع فرسان العصور الوسطى على جانبيها .. كان (جراهام)
يتقدمنا بصفته أعلمنا بهذه القلعة .. إنه قضى فيها وقتاً أكثر من
مالكها نفسه ..

أخيراً كان هناك باب خشبي موحد ، فعالجته (جراهام) حتى انفتح
وهرعنا إلى الخارج لنرى مشهداً ساحراً لبحيرة (لوخ نس) تترقرق
في ضوء القمر .. إذن نحن درنا حول القلعة ..

قالت (ماجى) وهي تشير لرقعة من الأرض :

- « سوف نشعل النار هنا .. »

لشعنا نرا لا بأس بها مستعنيين بأغصان الأشجار وسائل إشعال الموقد ..

دعنى أخبرك أن التأثير لم يكن محبباً .. أحياناً لا تجلب النار
الدفء والسعادة كما نتخيل .. فقط جلبت لنا الوحشة ... لكننا كنا معاً
على الأقل ..

ظلمنا صامتتين وفجأة هتفت (ماجى) :

- « لهى ! »

نعم .. نسينا هذا الجزء .. لو عاد الرجل الآن فلماذا سيجد ؟ لا
أكره شيئاً قدر البراعة في غير موضعها .. سوف يعود لداره بريناً
لا يفهم ما ينتظره ..

وجاء دور (جراهام) ليهتف :

« كان يجب على سيدتى الصغيرة أن تتخلص من التعويذة لو كان لى أن أقول هذا .. إنهم قادمون ! »

التفت إلى الوراء فى ذعر فرأيت تلك المسوخ قادمة نحونا عبر شاطئ البحيرة .. بهبط لكن بثقة .. نفس المشية المترنحة التى يمشى بها الزومبي فى أفلام (فولتشي) ونفس المنظر المريع ..

رفع (جراهام) يديته لكن (ماجى) هتفت امرأة :

« لا تفعل .. يجب أن نعرف ما يريدون .. لن يؤذونا ما دمنا لسنا فى بيوتنا »

كانوا يقتربون .. يقتربون .. حتى صار أقربهم على بعد ستة أمتار .. الآن هو واضح المعالم فى ضوء اللهب المترقق ...

هناك شيء غير معقول هنا .. شيء لا أبتلعه جيداً .. إن هذا الوجه ..

هنا رأيتهم جميعاً ينزعون الأقنعة المخيفة ويردون بصوت عال :

« عيد ميلاد سعيد ! »

هذا (مكجريجور) وهذا (ماكى) هذه (ليزا) وهذا (أرشبيالد) .. إنه مقلب .. لكن من رتبته لى ؟

« عيد ميلاد سعيد يا (رفعت) ! »

كانت (ماجى) تضحك حتى سال الدمع من عينيها ، وقالت :

« لا تنكر أنك صدقت هذا كله .. »

قلت لها فى ذهول :

« والتعويذة ؟ »

« إنها عندي من زمن .. فقط دمستها فى المجلد وألصقت ورقة عليها .. أعتقد أنك لم تجرب عيد ميلاد ممثلاً من قبل .. إن (جراهام) يمقت المزاح لكنه قبل مجاملة لى ، وطبعاً هو من قطع التيار الكهربائى .. »

كانت ليلة لا تنسى .. بالذات عندما انتهت السمهرة وعدنا للقلعة لتكتشف أن الباب الرئيس مفتوح . وأن هناك من عبث بكل ركن من قاعة الجلوس ... هناك من صعد الدرج وهناك من دخل غرفة أو غرفتين وجعل راحتهما لا تطاق .. هؤلاء الشباب مذعورون حقاً ويقسمون على أنهم لم يدخلوا القلعة قط وأن الدعابة تنتهى بهذا اللقاء على ضفة البحيرة ، لكنى لم أعد مستعداً لتقبل الطبقة الثانية من هذه الدعابة .. من يخدع مرة فعلى من خدعه .. من يخدع مرتين فعلى عليه هو ..

ألا ترى هذا معي ؟

تمت

إد لم ترق لك هذه الهدية ، فتحرب الفصل رقم ٢٦

- ٢٤ -

وصلت إلى الشقة في وقت قصير نسبياً ، فاتا أسكن قريباً من هذا العنوان .. وكنت لدى خطة طموح هي أن نترك فنن الأعمال للمركبة للفقيد حيث هو ، ونمضى الليل عندي وفي الصباح نتخذ ما نجده ضرورياً من إجراءات ..

فتح (عزت) الباب لى وكان تأثير ما يحدث واضحاً على وجهه .. كان الأستاذ (أنيس) جالساً تحت شجرة من أشجار الغابة ، وهناك فرد صغير من البلاستيك يتدلى على كتفه .. مشهد غريب فعلاً .. دغل فى شقة وفرد وجثة نصف جالسة ..

ركعت جواره وقمت بالفحص اللازم .. الحدقتان للتبض .. ضغط للدم .. مرآة تحت الأنف لقياس بخار الماء .. بالفعل هو متوف .. لا شك فى هذا ..

كان (عزت) الآن على حافة الهستيريا .. وقال :

- « هذا هو ثالث موضع يتخذه ! »

قلت فى ضيق :

- « ميتاً أو حياً .. إن حالة عظامه لا تسمح بالسير ، ولا أعقد أن للموت شفاة من ثاقوبات العظام »

ثم إبنى عرضت عليه الرحيل فوافق على الفور .. سوف نضع للفقيد فى فراشه ثم ننصرف .. والصباح رياح كما يقولون ..

حتى هذه اللحظة كنت متأكداً من أنه واهم .. فى البدء اعتقدت أنه واهم بصدد الوفاة ، لما الآن فأحسبه واهماً بصدد الحركة ..

هكذا حملنا الأستاذ (أنيس) إلى الفراش العجيب الذى يبدو كأنه فراش موت (ليفنجستون) جوار منابع النيل ، وهو الذى وجدناه فيه أول مرة ، ثم إبنى اتجهت إلى الصلاة بينما قام (عزت) بتغطية وجهه لبيه الروحى وعاد لى ..

كان يرتجف من التوتر ومن البرد ومن شبه صدمة عصبية .. سألته :

- « هل لديك خطط لصباح الغد ؟ »

ثم تذكرت الوقت فقلت مصححاً :

- « بل صباح اليوم »

- « إن له لبناً عاقاً .. لابد من إبلاغه لأن وضعه سيكون طبيعياً أكثر منى .. لن نستطيع عمل شيء وحدى ما لم أتصل بالشرطة .. » بحثت فى جيبى فلم أجد مفاتيح السيارة .. أنا متأكد من أننى جئت بها .. هذا واضح . وإلا لما استطعت قيادة السيارة لهذا .. هذه الاستنتاجات المنطقية هي ما يميز الأنكباء ..

بحثت فى كل مكان فلم أجد .. بقى موضع واحد هو تلك الخيمة فى الدغل حيث يرقد الفنان الفقيد ، وهكذا عدت إلى تلك الغرفة الكئيبة ..

بحثت فى الأرض التى يكسوها عشب صناعى وصخور مطلوبة
بالزيت عن المفاتيح .. بالفعل وجدتها هناك .. فجأة رفعت عيني لأجد
الفقيد وجلس تحت شجرة من تلك الأشجار الصناعية .. نفس الوضع
السابق وعيناه مغمضتان .. لكنه يستند إلى الجذع ..

لقد تحرك فعلاً !

أطلقت صيحة برغى فروع (عزت) إلى .. رأى المشهد فتهلوت
قدماء من تحته .. لقد فقد الوعي ..

إن هذا أكثر مما يتحمله بنيانه الواهن ..

خرجت إلى الصالة حيث تركت حقيبتى فانتقيت محققاً جميل الشكل
مع أمبول من الكورثيزون .. هذه الحقنة قد تنقذ حياة الفتى
المصاب بنقص مزمن فى هذا الهرمون الصحري ..

ملأت المحقن وعدت إلى قطاع الأدغال .. لقد بدأت أمقت هذه
الشقة التى بهرتنى فى البداية .. إنها متاهة لا يمكن تصور وجودها
لدى شخص عاقل .. لا يمكنك العودة إلى نفس المكان بسهولة . ولو
كنت أنا مالك هذا البيت للبيت نداء الطبيعة تحت هذه الأشجار
الصناعية ، لأتسنى أن أجد أهدأ الحمام وسط هذه التعقيدات ..

لكن ما إن دخلت قطاع الأدغال حيث فراش الفقيد ، حتى فوجئت
بمشهد لا يصدق ..

كان (عزت) مغمض العينين لكنه يمشى على قدميه ، وبين ذراعيه

كان يحمل جثة العجوز الملتحي فى رفق واضح كأنه يحمل رضيعاً .

رأيت أنه يخرج من قطاع الأدغال فينجمه إلى قطاع الفضاء ، ليبريح
جثة أستاذه على فوهة بركانية من فوهات القمر .. ثم يصلح من
وضع رأسه ليبدو كالجالس ، ويعود بذات الخطوات المترددة التى
تميز الماشين نياماً إلى القطاع الذى كان فيه .

الآن فهمت !

هذا المسكين لم يتحمل فكرة فقد الرجل الذى كان يحبه كل هذا
الحب ، لذا تصرف عقله الباطن على مسئوليته الخاصة .. فى كل مرة
يدخل فى شبه نعاس من ثم يمشى أثناء نومه ، ويحمل الجثة خفيفة
الوزن ليضعها فى مكان تبدو فيه حية .. ثم يفيق فيصيبه الذعر لأنه
نسى كل شيء عن هذه العملية .

قرأت ذات مرة قصة حقيقية عن صديقين احتجرتهما العاصفة فى
كوخ فى الإسكا ، ومات أحدهما بسبب قسوة الآخر حياً . وفى كل صباح
ينفض من نومه ليحد جثة صاحبه جالسة إلى المائدة ! فبعد
اتضح أنه كان يحمله من السرير حملاً ويضعه على المنضدة ؛ لأنه لم
يتخيل فكرة موته ولا فكرة البقاء وحيداً ..

لقد تحرك الأستاذ (أنيس) فعلاً ، لكن بيد تلميذه المخلص الذى لا يعرف
أنه فعل هذا ..

كنت بحق (عزت) ففتح عينه . وكان أول ما بحث عنه هو
الجثة .. وهتف :

- « لقد تحركت ثانية ! »

قلت في صبر وأنا أضع قطعة قطن على موضع الحقن :

- « تحركت للمرة الأخيرة ، لكنى أعتقد أنها لن تكرر هذا ثانية ..

فقط لنعد الآن لبيتنا وغداً يوم آخر .. »

ثم نظرت لساعتي وقلت مصححاً :

- « أعني أن اليوم يوم آخر ! »

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٣٩

- ٢٥ -

« قنفلراى يقتل من استضافه . رجل القبر الأسمر يلقى حتفه على يد
زهرة زرقاء عندما يعود تناسخ اللاما إلى صبي من (لهاسا) .. »

★ ★ ★

كما حكى لى (هن تشو كان) فيما بعد كنت أقصرف بغيا غريب ..

اتصلت به عدة مرات كي يزورنى ثم قررت أن لزوره فلم أجده ..
للحقيقة أنه تظاهر بأنه ليس فى البيت ..

كنت لفكرة تزرقه .. الرجل الذى استضافه هو لنا .. استضافته يوم جاء
إلى مصر مذعوراً يتظاهر بالخرس .. ولنا جدير بلقب الرجل الأسمر ..

نقد ظهر اللاما فى (لهاسا) .. سواء كان هذا حقيقة أم لا فلا شك
أن البوئين يعتقدون هذا .. لأن هو موعده تحقق النبوءة ..

كان غارقاً فى هذه الأفكار وهو يمشى فى الشارع عندما رفع رأسه
فوجدنى أمامه ..

صحت فى مرح :

- « هلئذا ! من الصور أن لصق لك فى مصر منذ شهر ولما نلتق ! »

حياتى فى لرتباك بعربيته المميزة وقال :

- « كنت مشغولاً يا (ريلفات) .. »

فى النهاية اضطر إلى أن يحكى لى كل شيء .. سمعت القصة فى
دهشة لكنى على كل اعتدت سخف العرافين .. ما هى الظروف التى
قد تدفعه لقتلى ؟

ثم إننى لست رجل للبحر على كل حال ..

اصطدبته معى إلى البيت و .. - - - - - مقرر .. أى أنه
مبروق له ..

بعد الغذاء دخلت لأغسل الاطباق كى .. - - - - - الحوض وبدأت
أمنؤه بالماء . فجأة شعرت بشئ عظيم يصاعط على صدرى .. أنا
لست طفلاً .. لقد جربت التوبت القوية ألف مرة .. هذه نوبة لا شك فيها ..
لكنها قوية بالفعل هذه المرة ..

سقطت على ركبتي .. العرق يفر جبينى . صحت بصوت يهتق :

- « (هن - تشو .. ا »

ليت له اسم أقصر من هذا !

جاءنى مسرعاً بخفته المعهودة وأصابه الهلع عندما رأتى جاثياً
على ركبتي جوار الحوض وسط الماء الذى يتدفق منه بلا انقطاع ..

- « هناك ع .. ع .. علية أقراص فى الكومود جوار فراشى ..
ب .. بمرعة ا »

بنفس خفة الفط وثب خارجاً .. وفى لحظات وجدته يسند رأسى
ويفتح العلبة ثم يمس قرصاً تحت لسانى ..

حجم القرص غير مريح . مذاقه ليس هو . مددت يدى وتفحصت
العلبة . هذا دواء للربو يحتوى مادة (الإفرين) .. محاكيات الجهاز
السمبثاوى . ألعن مادة يمكن أن تعطىها لشخص مصاب بنوبة
قلبية .. إنها الطريق الملكى لقتله ..

أما لماذا هى عندى فصل عن هذا أى طبيب .. إن لديه خزيناً من
أدوية اسكرى والسرطان وأدوية ترفع ضغط الدم وأدوية تخفضه ..
إنها عينات شركات الأدوية التى يحتفظ بها حتى ينسى كلها ..

بصقت الحبة وقلت بصوت مبحوح :

- « الدرج .. الدرج الأيمن يا أحمد .. أحرق .. »

لم ينتظر ليفهم وسرعان ما تورى . وعد بعد قليل بالعبئة المختارة ..

احتجت ربع ساعة وقرصين حتى استطعت أن أنهض على قدمى ..

أغلق صنبور الماء ، وقال لى فى حماس أسبوى كأنه سيمضى
بروحه من أجل التبت :

- « ريفالت .. ماغسل لنا الأطباء .. »

- « هذا كرم منك .. »

وذهبت إلى الصلاة مترنحاً .. فقط لم تس لن قول له قبل أن لرحل :

- « لا أحب أن أرى نبوءة تتحقق .. لكن محارب النافلراى كاد يقتل
مضيفه فعلاً .. رجل البحر الأسمر كاد يموت بقرص من الإفرين .. »

تفكر قليلاً فيما قلت وبدأ أن هذا الحل يرضيه .. سأئننى :

- « لكن ما هو البحر هنا ؟ »

أشرت إلى ثيابى التى أغرقها الماء الذى ملأ الحوض، وقلت :

- « هل يوجد بحر أكثر من هذا ؟ فقط للاما العظيم لم يفرق بين البحر
والنهر وماء الصنبور .. إن منات السنين تغفر له قلة الدقة هذه ! »

تمت

- ٢٦ -

قلت لها في غيظ :

- « لا تحدثيني عن (ساوين) هذا من فضلك .. إله وثني كان الكلت يعبدونه .. لا أهنى أية استنتاجات على هذه الخرافات .. »

كن وهج اللهب في المدفأة يترقرق على وجهها وهي تقول :

- « لا أعنى (ساوين) ذاته .. أعنى أن هذه التعويذة ذات تأثير شريعري .. يبدو أنها مهمة في العقائد الدرويدية »

ثم نظرت في ساعتى وقلت إن وقت الانصراف قد حان .. شكرًا على أنها تذكرت عيد ميلادى .

- « ألن تنتظر حتى يعود التيار الكهربى ؟ »

- « فى بلدى تنتظر كثيرًا جدًا جدًا .. أفضل أن أرحل الآن .. »

ناولتى الكتاب وتلك التعويذة التى وجدتها فيه ، وقالت إننا سنلتقى يوم الاثنين فى الجامعة ؛ لذا يمكن أن نذهب معًا لرئيس دائرة التاريخ لاستشارته ..

خرجت مغادراً القلعة وأنا لصفر . نظرت إلى الخلف فرأيت أنها مظلمة بالكامل .. بينما أضواء البلدة من بعيد موجودة . حقًا هناك شيء غريب ..

مشيت مصفراً لحنًا مصريًا وأنا أفكر فى برنامج الغد ..

هنا خيل لى إبنى أسمع خطوات من خلفى .. توقفت واستدرت فلم أر أحدًا ..

واصلت المشى فعادت الخطوات !

أعرف هذه الأكواب .. هناك من يتبعض .. يمشى حينما أمشى ويتوقف عندما أتوقف .. لكن أين يتوارى ؟ الجواب سهل لأننى أمشى جوار تلك العابة التى تقود إلى البلدة . هناك ألف شجرة تصلح لأداء هذا الدور ..

ظللت واقفًا بعض الوقت ثم هممت بالانصراف عندما رأيت ذلك الكائن قادمًا من بعد ..

لماذا اعتبرته كائنًا ؟ السلويت المميز له لم يكن يوحى بكائن بشرى .. كان يمشى على قدمين وله ذراع ورأس لكنه لم يبد لى بشريًا .. وقد أصابنى مرآه بالهلع فمشيت مسرعًا وأنا أخشى أن أنظر للخلف لا أريد أن أرى تفاصيل أكثر منه .

إنه يمشى ورقى .. ثم توقفت خطواته ..

التفت للخلف من جديد فوجدت أنه سقط على ركبتيه وأنه يلوح بذراعيه كأنه يعانى ألماً مروعًا .. ثم نهض من جديد وواصل المسير فواصلت فرلوى ..

من هذا ؟ ماذا يريد ؟ الأمر يتعلق حتمًا بتلك التعويذة اللعينة

جاءت اللحظة التى فقدت فيها التحكم فى أعصابى فرحت أجرى ..

فقط نظرت للخلف مرة واحدة فوجدت أنه يركض خلفي !

كنت عالى اللياقة فى تلك الأيام (نسبيا) لهذا ظننت أركض .. فقط كان التوتر الشديد من العوامل التى جعلتني فى حالة أسوأ .. كل هذا الأكرينالين فى عروقي لا يمكن أن يرحم قلبي ..

البلدة من بعيد بأصواتها .. صارت كأنها أرض الميعاد ... الحلم الذى تموت على أهوايه ..

كنت الآن أركض بمحاذاة بحيرة صغيرة .. وخطر لى أن هذا الشيء لا يلاحقنى أنا .. إنه يلاحق التعويذة اللعينة .. إذن فلماذا لا أتخلص منها الآن ؟ ..

أخرجتها من جيبى وطوحت بها فى البحيرة لأسمع صوت (سبلاتس) .. ورحت أركض .. نظرت للخلف فوجدت هذا الشيء قد كف عن ملاحقتي وإذا به يتجه إلى البحيرة .. ومن جديد سمعت صوت (سبلاتس) أعلى ..

تنفست الصعداء .. على ألا أكف عن الركض لأنى لا أعرف متى يستردها ويعود لى !

البلدة ! البلدة !

★ ★ ★

قابلت (ماجى) يوم الاثنين فى الجامعة فقلت لها إننى فقدت التعويذة ..

غضبت منى جداً .. لو كان الإنسان يهمل فى أشياء مهمة كهذه فلماذا يفعل فى أشياء أقل ؟ هذه التعويذة تمثل أثراً من آثار الكلت النادرة .. كان بوسع شيء كهذا أن يضمن لنا موضعاً فى كتب التاريخ وكتب الآثار معاً ..

- « والكتاب ؟ »

- « بخير قرأت فيه أسس ووجدته شديد الإمتاع .. »

قالت وهى تحاول أن تتخلى عن مزاجها العصبي :

- « على كل حال لم تكن ليلة سارة .. لقد قلل التيار الكهربى مقطوعاً حتى الصباح .. دعت من الجنة التى وجدوها فى البحيرة .. »

- « لية جنة ؟ »

- « جنة متحللة وجدوها طافية على الماء .. الغريب أن حالتها كما يقول رجال الشرطة تدل على أنها جنة قديمة نخرة .. هناك مجنون ما أخرجها من المقابر وألقى بها فى البحيرة قرب مدخل البلدة .. لماذا فعل ذلك ؟ وكيف حملها ؟ لا أحد يعرف .. لقد كانت ليلة جديرة بأن تكون عيد ميلادك .. فعلاً هى جديرة بعيد ميلادك ! »

تمت

-٢٧-

مشيت مع الفتى شارداً الذهن فى شوارع الزمالك . كنت أفكر فى هذا الكلام الغريب الذى حكاه لى وبدأ الأمر أقرب إلى السخف .. وفى جيبى كنت أعصر تلك القلادة الغريبة بعد ما طلبت منه أن أراها ..

قال وهو ينظر إلى السماء ويجفف عرقه :

- « ما أشد الحر ! يوشك الأسفلت على أن يشتعل ! »

من جديد تحقق الكابوس .. لقد بدأ الحر يزداد ويزداد ثم فوجئت بأن النار تشب فى أسفلت الطريق . فجأة تحول إلى قطران ساقل مشتعل يصلح لمهاجمة قلاع القرون الوسطى ..

قلت فى ذعر وأنا أثب إلى الوراء :

- « خذ الحذر .. لا أصدق ما أراه لكنك قادر على وقفه ! »

صاح وهو ينظر حوله :

- « لقد عادت الحرارة لمعدلاتها الطبيعية ! »

هكذا انطفأت النيران لم يبق إلا رائحة الشيط ..

هذا لا يصدق .. هذه قوة لا يمكن وصفها ..

قال لى وهو يجفف عرقه من جديد :

- « لكن لا أستطيع أن آمر الأشياء .. لا أستطيع أن آمر النار بأن تنطفئ فقط يجب أن يكون كلامى مجازياً .. »

قلت له باسمًا :

- « الأمر على كل حال هين .. يكفى أن تقول شيئاً على غرار : هذه القلادة ملك صاحبها الأصلي .. أو : أنا لا أعانى تأثير تعويذة ما .. »
نظر لى فى ذهول كأنه يقول : بهذه البساطة ؟ إن السذاجة كانت دوماً جزءاً من تكوينه أحياناً أشعر أنه مجرد طفل كبير . طفل له خفة القبط ..

قال فى ضيق :

- « أحياناً أتمنى لو أن هذه القلادة سرقت منى ! »

فى هذه اللحظة وجدنا أننا وسط مشادة غوغائية بين أربعة أشخاص .. اثنان يتهمان اثنين بشيء ما ، والاخران يصران على أنهما كذبان .. صفعات وسباب وركلات كدنا تنال بعضها .. تدخل الكاهن الأخير برشاقة وبسرعة البرق ليفصل بين هؤلاء ، ثم نزع النظارة ونظر لهم فى حزم تلك النظرة التى تجمد الدم فى العروق .. لسبب ما جعلتهم ينظرونه يتراجعون ثم يتفرقون .

قال لى وهو يعيد النظرة إلى نفسه :

- « إن أعصابكم مشتعلة كالنار فى هذا البلد ! »

ولبتعنا فى خطوات سريعة ..

وفى إحدى الكافيتيريات جلسنا .. طلبت كوبين من العصير . فشربت جرعة من عصيره ، وقال :

« إن له مذاق الشاي بالزبد ! »

نظرت له مشمئزاً .. طبعاً لو لم تؤثر كلماته في خواص العصور فلا شك أن التشبيه نفسه مؤذ . ذات مرة تنوقت هذا المشروب اللعين (الشاي بالزبد) وظللت مريضاً لمدة شهر ..

مد يده لى وقال :

« أريد القلادة .. »

مددت بدورى يدي فى جيبى وبحثت .. ما هذا ؟

أخرجت كل محتويات الجيب وسكبتها على المنضدة .. لا شيء ..

تبادلنا النظرات .. وقتت وأنا أضرب المنضدة بقبضتى :

« عندما وصلت أنت أعصابنا بأنها مشتتة كالنار لم يحدث شيء . لم تكن القلادة معنا لحظتها كما هو واضح .. هؤلاء المتشاجرون كانوا يمثلون .. هذه حيلة قديمة جداً للنشل .. لابد أن أحدهم دس يده فى جيبى وانتزع القلادة .. »

وثب بسرعة البرق إلى خارج الكافتيريا .. ورأيتة يجرى كالمجنون نحو المكان الذى حدث فيه الصدام ..

طبعاً من المستحيل أن يجدهم لأن هذا حدث منذ ربع ساعة .. وقت يكفى لأن يبيعوا المعروقات ويفروا إلى (كابلوكو) للاستمتاع بما سرقوه ..

عندما علا كانت خيبة الأمل بادية عليه .. وكالعادة لم يكن يلهث على الإطلاق ..

قلت له :

« لا تحزن .. اعتقد أن هذه القلادة لا تصل إلا مع قلس بعينهم .. لاحظ أنها كانت لدى رهبان التبت فلماذا لم تساعدكم على سحق الصينيين ؟ يبدو لى أنك كنت المختار الذى جاء ليبرث هذه القلادة ، ولن يجد فيها هؤلاء اللصوص إلا قطعة صفيح .. »

قال فى ضيق :

« أتمنى هذا .. لكن تذكر ما كتب عليها : (مع البعض تصير الكلمات حقائق .. ومع البعض تصير الحقائق كلمات) .. معنى هذا أن هناك من يمكن أن تؤدى عملها معه سوى .. »

فجأة نظر لى بذهول وقال :

« (رفعت) .. إن ثيابك ثيابة .. هل هذه ذات الثياب التى جننا بها ؟ »

نظرت إلى سترتى فلصبتنى الذهول .. قمائش فاخر .. ساعة ثمينة .. رباطة عنق أحتاج لعام كى أأخر ثمنها .. كان جنية (سنديلا) لمستنى بلعصا السحرية .. مددت يدي لأحسس رأسى فشعرت بشيء غريب .. فترعت تلك القنسوة فوجدت أنها طرطور !

فجأة بدأت السماء تكفهر .. صار الجو أسود بالخارج ورأيت بعض رواد الكافتيريا يفتحون الباب ليلقوا على السماء نظرة أوضح ، متعابئين عن هذا التغير المفاجئ فى الجو الذى كان حاراً ..

نظر لى (هن - تشو - كان) متسائلاً ، فقلت فى هدوء :

- « إنها تعمل .. لقد استجابت لكلمات أحدهم .. يمكننى أن أتخيل ما يقال الآن .. أحد للتصوص فحص قطعة تصليح هذه وأطلق سبة .. لابد أنه قال: هذا الأراجوز الأصلح الذى سرقناه كان يبدو ثرياً ! النتيجة تراها الآن .. صرت أبدو ثرياً فعلاً لكن على رأسى طرطوراً لئسى أراجوز ! لابد أنه قال بعدها متذمراً : هذا يوم أسود من بدايته ! »

هذا وضع بعد بأشياء مبهجة لا حصر لها .. نحن الآن تحت رحمة لسان لص .. ربما يتمنى لى أن أحترق حياً .. ربما يتمنى للمدينة أن تذول .. ربما .. ربما ..

كل شيء جائز .. كل شيء ممكن ..

قلت لـ (عزت) :

- « أقترح أن نذهب لقسم الشرطة حالاً محاولين مساعدتهم فى اعتقال هؤلاء الأربعة . لا يوجد حل آخر .. إنها محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ! »

تمت

- ٢٨ -

كان الأمر أقرب إلى الكابوس .. لقد اتزلق (عزت) معدوم الحيلة إلى الشارع ، بينما راحت السيارة تضغط على الفرامل . فقط لتتزلزل أكثر . واضح أن سائق السيارة لم يتعلم كيف (يكسارك) على الأرضية المبتلة كما ينصح أى ميكانيكى يحترم نفسه ..

التقى الخطان لكنهما لم يلتقيا بالضبط .. وجد (عزت) نفسه على بعد متر من العجلة وتوقفت السيارة أخيراً .. انفتح الباب لتثب منه امرأة ..

- « هل كنت بخير ؟ »

هز رأسه أن نعم .. ما لم يقله هو أن السيارة مزقت جهازه العصبى ، وداست على ثباته ، وبترت رباطة جأشه .. كلها إصابات خطيرة فعلاً .. إن معنوياته تنزف بغزوة ..

مساعدته على النهوض .. لاحظ أنها بارعة الحسنة خاصة وهو يحب ذلك الشعور العام بالبلل .. إن شعرها وأنفها يقطران الماء .

قالت له وهى تفتح باب السيارة الأيمن :

- « سوف أوصلك إلى المستشفى لو أردت . »

- « لا .. لا داعى .. »

كان عقله يعمل بسرعة .. هذه آخر ليلة يتمنى فيها أن يقابل فتاة

حسنة فقد أورتته تلك اللوحة شكوكاً لا بأس بها .. هكذا نهض بسرعة ولم يقل أية كلمة للفتاة وعاد إلى الجاليري ..

راح يبحث من جديد عن القاعة الصغيرة المتوارية التي دخلها منذ عشر دقائق ..

لم تكن هناك .. بدلاً من البارافان واللافتة وجد باناً موصداً عليه رمز بصرى يوحى بالأنثى .. حمام ! هذا ليس سوى حمام مطلق ..

لقد تلاشى معرض (عفت الشرشابي) تماماً كأنه كان هلوسة ربما كان كذلك .. الآن يعرف أنه مر بخبرة غير مسبوقة ..

عاد إلى القاعة الرئيسية فتجه إلى الفتاة الجالسة أمام الدفتر وسألها :

- « كانت هنا قاعة مخصصة لأعمال الفنان (عفت الشرشابي) .. أين هي ؟ »

هزت رأسها وقالت :

- « لا أعرفه .. »

ثم تذكرت حيناً وقالت :

- « هناك من يحمل هذا الاسم لكنه مات .. »

- « مات ؟ »

- « قدم معرضاً هنا منذ علم ولم يلق أى استهسان ، لذا قتل نفسه .. »

ابتلع (عزت) ريقه .. لقد سمع عن أشباح كثيرة لكنه لم يسمع قط عن شبح معرض ..

لكن لهذا مغزى خطيراً .. هذا للشبح / الكيان الذى تحدث إليه يتكلم من عالم لا نعرف عنه أى شيء .. بعارة أخرى هو دقيق وكلماته صادقة على الأرجح ..

لقد تحققت ثلاث لوحات فماذا عن الباقي ؟

كانت الفتاة تحك وجهها بطريقة غير مريحة .. بدت وكأنها تحاول أن تعرفه إلى نصفين .. لهذا شعر (عزت) بعدم راحة .. إلى أين يذهب ؟ هل هنا نجاته لم أن نجاته فى الخارج ؟

قرر أن يغادر المعرض .. مشى فى الشوارع الرطبة وكان المطر قد بدأ يقل ..

البخار يتصاعد من أنفاسه وهو يجد السير باحثاً عن سيارة لجرة .. فى النهاية وجد واحدة فألقى بنفسه فى المفعد الخلفى بعد ما تحقق من وجه السائق جيداً .. لا توجد حسناوات إذن كل شيء تمام ..

كان موشكاً على أن ينص تماماً عندما سمع السائق يردد :

- « الناس لم يعد عندها ضمير .. »

العبارة الماثورة لدى أى سائق تالكسى .. بعد هذا تبدأ قصة عن الراكب الذى لم ينفذ أو شرطى المرور الذى كان يريد بقشيشاً أو

عاد السائق يقول :

« الناس لم يعد عندها ضمير .. هل تصدق ذلك يا أمثلاً ؟ »

« بالتأكيد .. »

« مثلاً هناك من يعلق لوحات تحمل نبوءة ما لكنه لا يطقها بالترتيب الصحيح .. أحياناً يخفى لوحة أو اثنتين لغرض خبيث في نفسه .. ! »

هنا هب (عزت) وقد تلاشى أى نعاس من عينيه بينما السائق يقول :

« مثلاً .. هناك لوحة شنيعة تظهر ما يحدث للرجل الأسمر النحيل عندما يركب سيارة التاكسي ! لماذا لم يطقوها فى المعرض ؟ لأنه لم يعد هناك ضمير لدى الناس ! »

كان هذا مطباً وعراً ، لذا أبطأت السيارة قليلاً ..

وعلى الفور فتح (عزت) الباب وتخرج على الأرض المبتلة عدة مرات ..

نهض من دون أن يتسائل عن إصابته وراح يركض هارباً ..

اعتقد أنه ما زال يركض حتى هذه اللحظة ..

تمت

- ٢٩ -

رحت أدق باب (عزت) كالمجنون .. لكنه لم يرد ..

لا أعرف ما يدور ، لكننى قررت اللجوء إلى حل قكما ألجأ إليه .. لقد تبادلنا مفتاح باب شقتى مع (عزت) منذ زمن ، لكننا ألقينا على ألا نصنعه إلا عند الضرورة ..

هكذا أخرجت المفتاح وأولجته فى القفل ودخلت .. هذه المرة أغلقته ورالى ..

كانت الشقة هادئة صامتة .. الأضواء مفتوحة وهذا طبيعى بعد ما أصابه من رعب ، لكننى اندفعت نحو غرفة نومه لأرى ما هنالك ..

لكننى وجدت مشهداً مريعاً ..

كنت عند الباب فرأيت التمثالين واقفين وظهراهما لى تمثال مصاص الدماء والفتاة .. أما (عزت) فكان أمامهما جاثياً على ركبتيه .. وسمعه يقول :

« سيدى (يوليوس) .. لقد أنهيت مهمتى وعدتم للعالم أعترف عما أصابنى من ذعر عندما تحرك سيدى (يانوت) .. الآن عرفت أن الموعد قد جاء .. إنه الآن فى شقة جارى يبدأ مهمته »
فهمت !

إن من يصنع هذا التمثال العجيب لابد أن يثير الشكوك . الأمر يوحى بالاستحواذ .. كن على أن أفكر فى الأمر فى البدء لم يكن

يعرف ما يقوم به .. حتى إنه طلب عونى .. ثم أدرك الحقيقة وعرف أنه خادم هؤلاء ..

لكن من هم هؤلاء ؟ .

أسمع صوت الدقات على باب الشقة ..

الأخ الذى كان فى شقتى قد عاد خالى الوفاض ..

هكذا تواريت فى المطبخ .. بينما سمعت (عزت) يفتح الباب .. وسمعته يقول :

« هل فرغت يا سيدى (ياتوت) ؟ إنهم بانتظارك من أجل الرحيل .. »

ثم سمعت صوت الخطوات الثقيلة .. يبدو أنهم متجهون إلى الباب ..

الأمر غريب ومعتد .. لو كنت مكاتهم لصرت تمثالاً بالفعل وتماثلت ليلاً من المعرض لأمتص دماء الحراس .. أما أن يجولوا فى الشوارع بهذا الشكل فأمر غريب ..

إن الأسماء ذات طابع روماني لا شك فيه .. (ياتوت) و (يوليان) .. وهذا يشير لشيء ما ..

اتجهت إلى الثلاجة وفتحتها ..

إن الاستحواذ يتم عن طريق شيء يحتفظ به الشخص المستلب .. هذه قاعدة .. على الأرجح يكون الشيء نصيباً عضوياً يحتاج إلى مكان بارد كي لا يتلف ..

رحت لأفتش وسط الرفوف .. هذه هى المرة الثانية فى حياتى التى أفتش فيها ثلاجة (عزت) وفى المراتين وجدت ما أثار رغبى ..

بالفعل وجدت قطعة خيش مبهتة ملتفة حول شيء ..

فتحت لفافات الخيش فى حذر فوجدت .. تلك اليد الآدمية المبتورة طويلة الأظفار ..

فى العادة يكون الموجود فى الثلاجة رأساً بشرياً وأحمد الله على أن هذا ليس الحال هنا ..

حملت قطعة الخيش فى اشملازى وغادرت المطبخ وأنا أسمع تلك الجلبة على باب الشقة .. نظرتى هى أن هؤلاء بأسمائهم الرومانية جاءوا من جانب النجوم .. كانوا بحاجة إلى نفرة لذا سيطروا على (عزت) وجعلوه يصنع هذا التمثال الغريب .. هذا التمثال صار هو للشقة التى عبروا من خلالها لنا ..

أعتقد أنهم سيتحررون من الصلصال حالاً ليعودوا مصاصى دماء (عابدين) لو كان شيء كهذا ممكناً ..

كنت أبحث وسط المخزن الذى وضعه (عزت) فى غرفة جوار غرفة نومه .. مخزن أقرب إلى ورشة كاملة فيها كل شيء .. كنت أعرف أن لديه حمض كبريتيك .. ماء النار كما اشتهر اسمه .. وهو يستخدمه كثيراً فى تعامله مع المعادن ..

وجدت القارورة العملاقة ففتحتها فى حذر .. كان عنقها ممتصاً يسمح لقبضتى أن تدخل .. لكنى لم أضع قبضتى .. لقد أقيت لفافة الخيش بالداخل ثم صدت الفوهة ..

راح الحمض يفسد سعيًا بوجيته الجديدة التي راح يحولها إلى كربون نازعًا منها كل ذرة هيدروجين أو أكسجين ..

لقد قسم لي اليد كفت تتلوى لَمًا .. لست متأكدًا لذا قلت (لك) ..

في النهاية هذا الفوران .. ورأيت العظام تتفاعل ببطء مع الحمض الكريه ..

نهضت في حذر متجهًا إلى باب الشقة .. هناك وجدت (عزت) رافعًا على ركبتيه وهو يمسك برأسه .. وكان يهتز بلا توقف كلن به مسًا ..

نبوت منه أكثر فعرفت .. إنه تحرر .. هذا تعبير رمزية الماريونيت التي تقطع خيطها .. (إنه لا يعرف أين هو ولا من هو ولا ماذا حدث ؟

وضعت يدي على كتفه .. أعتقد أنه لا خطر عليه بعد ما وجدت أداة الاستحواذ وأحرقها .. لكن من أين جاء بها ؟ من وضعها عنده ؟

سيحتاج إلى وقت طويل قبل أن يشرح لي هذا كله ..

وقفت على باب الشقة أرمق المدخل في الضوء الشاحب ..

إن على الكثير من أعمال النظافة قبل أن يصحو الجيران ..

كل كتل الصلصال المفتتة هذه والملقاة على رخام المدخل يجب أن تختفى ، قبل أن يسألنا الجيران أسئلة مريبة .. أسئلة لا نملك إجابة عنها ..

تمت

- ٣٠ -

لم أقتنع بحرف مما قاله لي (عزت) ، وكانت تجربتي عملية جدًا . لقد نزلت معه إلى الشارع ورحنا نمر جوار القنطرة حول صناديق القمامة .. سألته عما تفكر فيه فراح ينظر لي في حيرة ..

كان هناك حمار يقف جوار الرصيف مربوطًا لعربة جر ، فسألت (عزت) عن رايه .. قال في تردد :

« أعتقد أنه متضايق من حياة العبودية تلك . »

قلت في بسمة انتصار :

« هل رأيت ؟ كلنا نملك قطباعت معينة عن أفكار الحيوان .. وأنت تطبق ما في عقلك الباطن .. لا أحد يقبل ألا يكون الطاووس مفرورًا والحمار متضايقًا من عبوديته .. أرجو أن تنسى هذا الهراء .. »

« وماذا عن تلك التعويذة التي حصل عليها (أنيس) رحمه الله ؟ »

« أعتقد أنه لا يعرف كنهها .. إنها مجرد قطعة أثرية ثمينة لابد أنه ابتاعها في الخارج ولو كنت مكانك لأعدتها لوريثه لأنها قد تساوي أكثر من كل العقارات التي يفتش عنها . »

« معك حق .. »

فجأة همس لي في توتر :

« أسرع للخطوات لكن لا تركض .. »

« لماذا ؟ »

« فقط نرى .. »

هنا بدأت اسمع نباح هذين الكلبين العملاقين .. ذلك النباح الخفيض الموحى بالانقضاء .. وقاومت بصعوبة بالغة أن أركض وأنا أشعر بأن الوحشين موشكان على الانقضاء على من الخلف ..

لما ان ابتعدنا حتى قال (عزت) وهو يتنفس الصعداء :

« سمعت الفكرة : سوف نعضهما .. سوف نعضهما ! لا تقل لى رأيتهما فلفقت الفكرة .. »

الحقيقة أن كلامه كان منطقياً .. لكن هذا يعنى أنه صار يملك قوة خارقة بالفعل .. إن زيارته لحديقة الحيوان يمكن أن تملأ عدة كتب .. على كل حال فترقنا وإن نصحت به سرعة التخلص من هذه التعويذة ..

★ ★ ★

فى شقة (مصطفى) جلس (عزت) فترة يتأمل المكان بانتظار قنوم هذا الأخير ..

كانت الشقة لماخرة فعلاً . كل شيء يوحى بالثراء لكنه ثراء لا يقصد به الاستمتاع لكن يقصد به إيهار القادحين .. أنا أكثر منكم مالاً وأعز نفراً .. أنا أكثر منكم مالاً وأعز نفراً ..

قارن فى ذهنه بين هذا الثراء الاستعراضى والثراء الآخر لوالد (مصطفى) الذى لم يرد إلا الاستمتاع شبه الطفولى .. شتان بين الرجلين ..

« سوف أخلص من ذلك الوغد ! »

دوى الصوت عاليًا فى ذهنه ..

ما معنى هذا ؟

« هذا الصطوك لا يستحق إلا الموت .. وأن قدرة على ذلك متى أردت »

من جديد دوى للصوت للمخيف الشبيه بالفحيح ..

جاء (مصطفى) هنا بلثنا .. وجلس وهو يعثر عن حالة الفوضى للعبة (التى لم يرها عزت) لأنه مطلق حديثاً .. لا توجد امرأة هنا ..

« فقط لو يخطو لحظة ! »

هنا تصلب (عزت) .. إنه يعرف قدرته الأخيرة على قراءة أفكار الحيوانات .. هناك حيوان هنا .. حيوان يريد الفتك بضحيته .. لكن ما معنى هذا ؟

« هلم انصرف يا ثقييل النظر .. كيف يسمح إنسان له هذا العود للنحيل والملاح الغريبة لنفسه بأن يبقى حياً ؟ »

هذا الكلام موجه له بلذات ! قل (عزت) وهو موشك على الجنون :

« فقط أردت أن أخبرك بأمر لوح من الكتابة المسمارية وجدته عند الفقيد .. وهو .. »

« مسمارية ؟ »

- « نعم .. كتابة السومريين والبابليين و ... »

- « سومريين ؟ »

ثم راح (مصطفى) يضحك عدة دقائق .. أخيراً استطاع أن يتنفس فقال :

- « قلت لك أن تعطيني من هذا الهراء .. إذا وجدت سندات أو وصايا أو لوراقاً مقلية فمن واجبك أن تخبرني .. فيما عدا هذا أنت حر .. ثقي لأنني آخر واحد على ظهر البسيطة يمكن أن يهتم بفن أبي .. »

كان واضحاً صريحاً فجاً .. وأدرك (عزت) أن عقاب الرجل الوحيد هو أن يكون اللوح ثميناً فعلاً .. لقد فعل ما بوسعه .. لهذا طلب الإذن بالتصرف ..

- « لو أنك تسقط ميتاً الآن .. »

دوى الصوت في لفته ..

كان (عزت) الآن قد كون نظرية لا بأس بها .. هناك شعبان في الشقة .. لا يعرف كيف يدخل ولا متى، لكنه على الأرجح ينتظر لحظة أن يخلد (مصطفى) للنوم كي يلدغه .. هذا هو تفسير تلك الخواطر ..

ينذره ؟ بالطبع لا .. لن يصدق له ويسوف يسخر منه .. دعك من أن هذا الاحتمال يبدو سخيفاً فعلاً ..

هكذا اتصرف (عزت) وهو يلعن أب الجشع والفظظة ..

★ ★ ★

عندما قرأنا بعد يومين أن جثة (مصطفى) المطعونة وجدت في الشقة الفاخرة وحدها ، وأن رجال الشرطة عرفوا أن امرأة شوهدت تغادر الشقة في ساعة متأخرة ، قال (عزت) غير مصدق :

- « قال لي إنه لا يوجد أحد معه .. »

قلت وأنا أطوي الجريدة :

- « لقد كذب .. كانت هناك امرأة وقد قتلتها بغرض السرقة .. »

- « سمعت خواطر غريبة صائرة عن تفكير ألقى .. هل هو هذيان ؟ »

قلت وأنا ألتاعب وأضع اللوح على حجرى :

- « بالعكس .. لقد أثبتت التعويذة براعتها ودقتها .. هي لا تقرأ إلا تفكير الحيوانات ، وقد كان هناك حيوانان في تلك الشقة ليلتها .. (مصطفى) والمرأة التي قتلتها .. بالضبط هما حيوانان .. وكنت أنت تسمع خليطاً من أفكار الاثنين ، لأن التعويذة دقيقة في قراراتها .. لقد صدقت الكلمات .. لكن يبدو أن هذا اللوح لا يعمل في كل الأحوال .. »

قال باسمًا :

- « لو كان يعمل طيلة الوقت لجنتت .. تصور كم الأفكار التي كنت سأسمعها من الذهب والصرافير في المطبخ .. بالمناسبة الذهب كثير جداً قليلة .. هه .. هه ! »

ولرنتظمت يده باللوح الصلصالي الذي أضعه على حجرى ..

كرش ش ش ش !

تمت

- ٢١ -

وصلت إلى الشقة في وقت قصير نسبياً ، فأتنا أسكن قريباً من هذا العنوان . وكانت لدى خطة طموح هي أن نترك فنان الأعمال المركبة الفريد حيث هو ، ونمضي الليل عندى وفي الصباح نتخذ ما نجده ضرورياً من إجراءات ..

فتح (عزت) الباب لى وكان تأثير ما يحدث واضحاً على وجهه .. كان الأستاذ (ليس) جالماً تحت شجرة من أشجار الغابة ، وهناك قرد صغير من البلاستيك يتدلى على كتفه .. مشهد غريب فعلاً .. دخل في شقة وقرد وجئة جالسة ..

ركعت جواره وقمت بالفحص اللازم .. الحدقتان .. النبض .. ضغط الدم .. امرأة تحت الأنف لقياس بخار الماء .. بالفعل هو متوف .. لا شك في هذا ..

كان (عزت) الآن على حافة الهستيريا .. وقال :

- « هذا هو ثالث موضع يتخذهُ ! »

قلت في ضيق :

- « لن يكون هناك وضع رابع لأننا سنعود لدارى الآن .. »

- « إذن على الأقل نعوده إلى الفراش .. » :

- « لك هذا .. »

وحملنا الجثة الخفيفة إلى ذلك الفراش المضحك الشبيه بخيمة أفريقية .. وخرجت نافذ الصبر إلى الردهة أبغى الرحيل ، لكن (عزت) طلب أن أمهله لحظة :

- « لا أفكر إن كنت أعدت لنفسى كوب شاي لم لا .. لا أريد لمجازفة باحتراقى للشقة .. »

وقفت أنتظره في ملل بالخارج حتى يفرغ من معاينة المطبخ الذى لا أعرف أين هو . أتأمل ذلك العسل المركب القبيح . مددت يدي لتتزع واحدة من تلك الأوراق الملصقة على الجدار فوق المرحاض ، ثم ورقة أخرى ..

هنا سمعت صوتاً يتحنج منذراً من خلفى ..

استكرت بسرعة فلم أر أحداً ..

- « (عزت) .. هل هذا أنت ؟ »

لكن (عزت) كان فى المطبخ الذى لا يعلم إلا الله أين هو ..

من جديد سمعت ذلك الصوت من وراء الأشجار الصناعية .. وفجأة لمحت شيئاً يتحرك ..

أجفلت وتركت موضعى لأقترب أكثر .. هناك شخص يمشى هناك وهو ليس (عزت) .. من المجنون الذى صمم هذا الديكور ؟ بالفعل أشعر بأننى فى دغل حقيقى .. يصعب أن تتبين ما يدور هناك ..

فجأة تغيب الأضواء الواحد تلو الآخر ..

إنه للظلام ينتشر خطوة بخطوة وأنا بعد وسط هذه الأشجار ..

صحت أنادى (عزت) فجاء صوته من بعيد :

« (رفعت) ماذا يحدث هنا ؟ »

مجموعة من الأشباح تحيط بى وأحدها يرفع سيفه ليهوى على عنقى .. صرخت وتدهجرت على الأرض ، بينما اعتادت عيناى للظلام فعرفت أنني فى القطاع الشرقى .. هذه تماثيل جوار وهذا (مسرور) للسيف .. تمثاله فقط ..

أنزلق لأسفل فوق منحدر .. فقط لأشعر بالهبل .. هل كان هناك قطاع مائى فى هذه الشقة ؟ أم أنه شلال فى قطاع الغابة ؟

أنا الآن رائد وسط الحفر التى تمثل أرض القمر .. للفوهات البركانية .. النجوم قد تلاشت تماماً مع الظلام ، لكنى أرى ذلك النيزك الفوسفورى الذى يخترق الفضاء .. أعرف أنه مجرد نموذج لكنى أشعر بأنه يتحرك ..

أشباح تحيط بى .. من جديد هى تصوب نحو رأسى الممنوعات فأدرك أنني على الأرجح فى قطاع قصص رعاة البقر .. قصة (مايكل كرشتون) عن عالم الغرب تتكرر حرفياً هنا ..

وأرفع رأسى فأرى تلك الشمس الأقرب إلى إيمان وترنح بشئ طريقته فى الظلام .. خطوته مرتبكة باحثة كأنه ينقب عن شئ ما ..

نهضت بصعوبة ورحت أتعثر وسط العشب للصناعى ..

أمد يدي فإذا بى أصطدم بجسد بشرى ..

تراجعت مذعوراً ثم تذكرت هذا الملمس .. إنه (عزت) ولا أحد سواه ..

هتف فى الظلام :

« ماذا يحدث ؟ »

قلت لاهناً :

« أعتقد أنه عمل فى مركب آخر .. يبدو أنه أراد أن يقدم عرضاً يصعب نسيانه فى ليلة مصرعه .. »

ثم أضفت :

« هل تعرف كيف نصل لباب الشقة ؟ أنت تعرف المكان .. »

« أعتقد هذا .. »

ورحنا نمشي طريق لاهئين محاذين الاصطدام بآف تمثل وكف عتبة .. إنه كمين حقيقى ، فقط لم نصدم أننا خرجنا إلا عندما حدث ذلك فعلاً ..

وقفنا فى لردهة نستجمع أنفاسنا . الظلام فى تلك الشقة تجربة مروعة حقاً .. سوف نمسك بالمصعد ونفر .. وفى الصباح نحاول فهم ما يدور ..

كان المصعد فى الطابق السفلى فيبدو أن هناك من نزل قبلنا .. انتظرنا عودته ثم ركبنا صامتين ..

فقط فى الطابق الثانى قال (عزت) :

- « كل هذا غير طبيعي .. إنه شيطاني .. »

قلت لاهتاء :

- « لا أعتقد .. الأمر يتعلق بدعابة عملية أخيرة أعدها لنا صديقك الموهوب هذا .. لا أعرف ما فعله لكنه استطاع أن يفزعنا بحق .. »

وخرجنا إلى الشارع المظلم نحو سيارتي ..

دنوت منها حتى صرت على مسافة عشرة أمتار ثم توقفت ..

قلت لـ (عزت) همسًا وأنا أعتصر ساعده :

- « لن نستطيع ركوبها . »

- « لماذا ؟ »

- « إن صاحبك هذا لا يمزح .. لم أر شخصًا أكثر منه جدية ! »

كنت أرى المقعد الأمامي لسيارتي .. وأرى سلووت الجالس هناك .. ذلك الوجه النحيل لشيخ ضامر في السبعين ، كث الحلبين له لحية من الطرز الذي يحبه الفنانون ..

كان ينتظرنا ..

وفي خفة انطلقنا في الطريق الصامت المظلم مبتعدين .. سوف نجد تفسيرات منطقية فيما بعد لهذا كله ، وأسترد سيارتي في الصباح .. لكن ليس الآن .. ليس الآن بلقائه عليك .

تمت

- ٣٢ -

شعرت بالخجل من نفسي .. أملًا للدنيا صراخًا بالتشويق بمنطقتي العلمي ، ثم أترجع على الفور عند أول اختبار .. الرجل الذي لا يكف عن القول إن الثعابين في منطقته غير سامة ، ثم يثب في الهواء متزين عندما يرى أول ثعبان ..

هكذا هزئت رأسي وطلبت من (ماجي) أن تعيرني الكشاف الذي تحمله في حقيبتها ..

توغلت في الغابة وأنا متوتر بحق .. ضوء الكشاف يلقي ظلالًا لعينة على كل شيء .. لكنني أعرف أنه في اللحظة التي أعرف هذه القاعدة سوف يكون الخطر حقيقيًا ..

الجسم الوحيد الذي لن يلقي ظلال شبح خداعة هو الشبح ذاته ! أشجار في كل مكان .. يسهل فعلاً أن يضل المرء طريقه هنا خاصة في الظلام .. هكذا أخرجت مفتاحي ورحلت أحك علامات واضحة على طبقة الطحلب التي تكسو الأشجار التي أمر بها .. علامات على شكل أسهم تحدد الاتجاه ..

عندما توغلت بما يكفي رحت أنادي (دانييل) بأعلى صوتي .. كنت أشعر بالعبث وبعدم جنوى ما أقوم به ، لكنني فجأة سمعت صوت البكاء .. لم أصدق أنني وجريت نحو مصدر الصوت لأجد ذلك الطفل المنثني على نفسه تحت شجرة وهو يبكي بكاء يمزق نياط القلوب .

رأيتي فراح يضربني بقبضتيه لكنى رحت أهدئ من روعه .. شكلى
قد يكون مفرغاً بالنسبة للأطفال لكن هذا لن يجعلنى أتركه ..

تقريباً حملته حملاً فى طريق العودة ، ولم أصدق عينى عندما
وجدت (ماجى) وأمه حيث هما هكذا ألقيته على الأرض إلقاء ،
فركض نحو أمه وسرعان ما غابا فى عناق طويل بأك ..

سألت السيدة :

- « هل ترغبين فى أن نوصلك ؟ »

قالت وهى ترتجف :

- « بل أوصلكما أنا .. إن سيارتى قريبة .. »

بدا لنا العرض مغريباً فى هذا الليل البارد وبعد كل هذه الانفعالات ..
هكذا مشينا معها حيث كانت سيارة صغيرة تلف تحت الأشجار ..
ونزلحمتنا فى السيارة كيفما اتفق ..

نزلنا قرب القلعة المخيفة حيث تعيش (ماجى) .. سيكون على أن
أمشى حتى أبلغ الفندق الذى أقيم فيه فى البلدة . ودعنا المرأة
والطفل .. لا .. لم نودع الطفل لأنه نام منذ ربع ساعة .

قالت (ماجى) :

- « على الأقل كانت نهاية الأمسية هادئة مثمرة .. »

هزئت رأسى أن نعم ..

ودعتها ورحت أشق طريقى قاصداً البلدة والفندق فللغرض ولتقوم ..
لكنى إذ بلغت نهاية الطريق سمعت صرخة .. سوف أصاب بالهلع لو مرت
دقيقة هذه الليلة من دون سماع صرخة ..

عنت أركض عارفاً أن هناك مصدراً واحداً لهذه للصرخة ..

كنت (ماجى) وافقة هناك عند بداية الطريق الذى يودى إلى قلعتها ..

رأيتى قائماً فهتفت :

- « (رفعت) .. شعرت بشخص أو شيء يطاربنى .. وعندما صرخت
تولوى وراء هذه الأشجار .. »

لم أدر ما أقول أو ما أفعل .. التفتت حجراً كبيراً فوضعتة فى
يدها ، وتناولت حجراً مماثلاً حملته وهمست لها :

- « أهدنى .. لقد وترتتا تلك المدام .. لو أن قطاً ماء لوثبنا مترين
فى الهواء .. سوف تنتظرين هنا وسوف أبحث عن هذا المتسلل .. »

- « ولماذا لا أكون معك ؟ »

- « لأن هناك أكثر من طريقة لمغادرة الأشجار .. يجب أن تراقبى
هذه الجهة .. »

كان قلبى يتواشج فى صدرى لكنه كان سليماً فى تلك الأيام ..
وتركتها هناك وتوغلت قليلاً وراء حزام الأشجار .. ان يقينى شبه
تلم بلتنى لن أجد شيئاً ..

بعد دقائق من البحث عرفت أنني مخطئ ..

لقد كان ذلك الكلب الأعرج ينظر لى فى إشفاق وهو يحاول أن يتواري .. ثلاث أقدام .. لابد أن عربة هضمت للرابعة .. وضعك مؤسف يا صاحبي لكنى لن أستطيع مساعدتك ما لم تتوقف عن الركض .

رحت أحاول الإمساك بالوغد لكنه كان سريع الحركة فعلاً .. هكذا تواري وراء شجرة فهرعت لأحقى به ..

طاخ !

تلقيت لضربة قاتلة على جانب راسى فشعرت بأن شريقاً لفجر هناك !

تماسكت ونظرت إلى مهاجمى فوجدتها (ملجى) .. لقد ضربتني بقطعة الحجر عندما رأتنى أهرز من وراء الشجرة التى تقف جوارها ..

سقطت على الأرض والدم يبلل جانب عنقى وسررتى .. شعور بالغثبان يمزق لحشائى .. دوار .. صداد ..

هتفت فى جزع :

« أنا أسفة ! كدت أفتك بك ! »

قلت وأنا أعطى راسى بىدى :

« كدت فعلاً .. ألم أقل لك إن التوتر سوف يقتلنا ؟ هذه المرأة

قد .. قد .. »

قلت وهى تجفف الدم بمنديلها :

« يجب أن نذهب إلى المستشفى حالاً .. »

هزرت راسى موافقاً واضفت وأنا أنهض بصعوبة :

« لا أدرى هل أدخلتنا المرأة فى دائرة التوتر فتصرفنا بحمق ،

لم أنها كانت دقيقة فى نبوءتها ؟ أحدهما ما كان ليرى النهار ..

والسبب امرأة لم تر العرافة وجهها بوضوح .. ألم يخطر لك صغيرتى

أنك هذه المرأة ؟ »

والثقت عيننا فى حيرة على ضوء القمر الأزرق ..

تلك أشياء لن نعرف إجابتها أبداً ..

تمت

= ٢٢ =

« عندما تغرب الشمس وتلطف بملأها ثوب للمساء الأزرق ،
عندئذ يبدأ فجر للنافاري »

★ ★ ★

لفترة تظاهروا بأنهم لا يسمعون ، لكن للطرفاء ازدادت قوة .. ثم
سمعوا طرقات من أعلى الكوخ . هناك من يقف على السقف ..

أدرك العجوز أن ما جذب هؤلاء هو النار التي أشعلوها ، وأدرك
(هن تشوكان) أن هؤلاء قد أيقظوا بعضهم البعض .. إنهم الآن
بحاجة إلى وجبة طازجة من اللحم ..

الطرقات تتزايد ..

مسلوليتك أن تحمى هؤلاء الأبرياء من خطر بدائنه أنت بعد ما كنهه
ذلك الكاهن التاوى ..

تسمع صخبًا بالخارج .. هناك من يحدث أصواتًا لا تميزها بسبب
العاصفة ..

تقول للمرأة وأنت تشير إلى السملور :

« هذا أرز أليس كذلك ؟ سوف نفتح الباب ثم نغفرهم به .. »

« هل تضمن النتائج ؟ »

« ليس لنا الخيار .. هذا الكوخ سيتداعى سريعًا .. أنا كنت فى
الغابة ورأيت مبلغ قوتهم .. »

نظر لك العجوز بعينين ناريتين وهمس :

« أنت من انتزع أوراق الفؤان ؟ »

لم ترد .. فقط حملت الإناء بين يديك واتجهت إلى الباب .. ثم
صحت فى المرأة أن تفتح لك ..

جاءت نحوك مسرعة .. هنا لاحظت شيئًا غريبًا ..

إنها لا تمشى بل تحجل على ساق واحدة .. برغم هذا هى سريعة
جدًا ..

نظرت فى زعر إلى العجوز والطفل رأيتهما يثبان بذات الطريقة
نحوك . وفى العيون بدت نظرة شيطانية مألوفة أنت تذكرها لأنك
رأيتها فى الغابة منذ ساعة ..

صحت فى دهشة :

« لكن .. لا تبدو مثل .. »

قال العجوز ضاحكًا :

« لقد تعلمنا كيف نبدو مثلكم .. هى هى ! نتكلم ونشعل النار
ونشرب الشاي .. لسنا كذلك المسوخ الشيطانية التى رأيتها فى
الغاب .. لهذا لم يعرنا كاهن التاوا اهتمامًا ، ولو كان أكثر حيطة
لتصاعل لماذا ظنننا أحياء من بين القرية كلها ؟ »

« والأرز ؟ »

قالت المرأة وهي تفتح فمها كاشفة عن نابين عملاقين :

« أنت ذقته .. هل شعرت لحظة أن هذا مذاق أرز ؟ »

ويقول العجوز وهو يحاصر ك ليصير ظهره للباب :

« لقد صعدنا كثيراً لكننا جوع والجود قارس وأنت جنت بكامل إرلاتك .. نحن بحاجة إلى الدم .. دم ساخن طازج ! »

الآن حانت اللحظة ..

ركلت الإناء ليظهر في وجوههم ، ثم وثبت في الهواء لتهبط فوق المنضدة المتداعية . لا أحد يقدر على إمساك كاهن تافراى بكامل وعيه .. لا أحد ..

إنهم عائدون لك ..

تشب في الهواء من جديد ..

هنا تفتتح باب الكوخ ..

اقتحم المكان رجل غريب الثياب له لحية عجيبة وفي يده عصا غليظة ، وفي اليد الأخرى إناء به شيء ما .. ومن خلف الرجل برزت مجموعة من الفلاحين أقوياء البنية مدججين بعصى غليظة ..

طوح الرجل بمحتوى الإناء في وجوه المسوخ فالتصق الأرز اللزج نصف المطبوخ بهم .. سقطوا على الأرض وهم يصرخون .

أخرج قصاصات من الورق الأصفر من جيبه وراح يثبت قصاصة على جبين كل منهم ..

قلت له وقد بدأت تفهم :

« أنت كاهن (القاو) ! »

« عنت للغابة لأرى ما حل بتلك المسوخ فلم أجدها .. عرفت أن هناك من انتزع الأوراق .. في القرية المجاورة أخبرتهم بأن هناك ثلاثة ناجين في هذه القرية ، فنفوا ذلك .. لقد هلكت القرية كلها عندما هاجمها الشياح شى .. هكذا خمنت أن هؤلاء الذين رأيتهم شياح شى امتلكوا القدرة على تغيير شكلهم .. جنت بالرجال معى لننهي أمر هؤلاء »

إن كان هؤلاء هم من يدق الباب .. كنت أنت محبوساً مع الشياح شى وتحسبهم بالخارج !

الكاهن يصيح في الفلاحين كي يحرقوا الكوخ .

للزهرة المقدسة تنتشر وتتفتح في كل ركن ..

ثم إنه يغادر المكان وهو يضرب الأرض بعصاه الغليظة . يقف في الخارج يرقب النيران تتعالى ويتأكد من دقة التطهير ..

لا أحد يقدر على قتل الشياح شى لكن يمكنك أن تكفيهم تحت الجريد للذئب .. سرعان ما يتجمد هذا من جديد من ثم يبقون حيث هم .

تقدم نحو الكوخ وتصيح حسب التقاليد المقدسة :

« سولان هاتشاه سارايان ! »

لقد أنذرتكم بأننى سأستعمل (السارايانا) ..

قال لك الكاهن وقد سمع ما قلت :

« أنت نافاراي أيها الشاب .. أليس كذلك ؟ »

« بلى .. »

« عرفت هذا من ضفيرتك والقرط فى أذنك اليسرى .. عدد لأهلك

للمقدسين فى الدير وعلمهم الإسراع فى دفن الموتى .. لا تدع القط
يخط فوق رأس الميت أبداً .. »

ثم أشار الكاهن للفلاحين فالحقوا به .. يتقدم فى الظلام وهو يضرب
الأرض الجليدية بالعصا ، بينما يمشى الفلاحون المتهيبون صفاً من
خلفه .. وبعد قليل يذوبون فى الظلام .. لم يمالك أن تلحق بهم لأنه
يعرف أن النافاراي يعرف كيف يعنى بنفسه ..

تقف أنت وحيدك ترمى النيران ..

إن لديك درساً مهماً لتلاميذك فى الدير عندما تعود .. سوف تحثهم عن
الضيايح شئ وعن ضرورة ألا يمشى القط فوق رأس الميت ..

والدرس الأهم هو : عندما تجد شخصاً عاجزاً عن الحركة فى
الغابة ، فلا تتزعج الأوراق الصفراء الملتصقة بجبينه أبداً !

تمت

— ٢٤ —

تكرر ظهور (إيرين) عدة أيام ..

للدقة . تكرر ظهورها عدة ليال . كنت أدخل غرفة نومى فأجدها
جالسة إلى مقعد مريح ، وهى تنظر لى تلك النظرة الوداعة ثم تتكلم
عن كل شئ .. عن القطط والطقس وفطائر الخوخ ..

كنت أجن وأنا أحاول أن أعرف من هى بالضبط وكيف دخلت
هنا ..

أنت تفكر فى الأشباح .. فى الهلوس .. فى الهستيريا الأنثوية
للمعناة ، لكنى أقول لك بوضوح إن الأمر ليس كذلك ..

هذا مخلوق من لحم ودم يجلس أمامى .. مخلوق له ظل ويشغل
حيزاً من الفراغ ..

كانت صورة المقبرة المنبوشة لا تفارق مخيلتى .. وكان ذعرى
يتزايد ..

ما رأيك يا (رفعت) ؟

بإخلاص : ماجى ماكيلوب

★ ★ ★

عزيزتى :

لا أعرف ما ينبغي أن يقال .. هناك قضيتان متناقضتان لكن كل شيء فى كلامك يدل على حدوثهما معاً ..

القضية الأولى هى أن (إيرين) غادرت قبرها لتزورك ..

القضية الثانية هى أن هذا مستحيل .. لأن الموتى لا يغادرون القبور إلا يوم القيامة .. دعك من أن مشاهداتنا العلمية تؤكد هذا ..

قضيتان متشابهتان معقدتان ..

لقد وضع المؤلف نفسه فى ورطة ، وطريقة (كان كل هذا حتماً) تستجلب عليه غضبة القراء ولعناتهم . كما لا اعتقد أنه ينوى أن يجعل (إيرين) عائدة من القبر لمجرد أنه يحترمك ويثق بكذلك .. اعتقد أنه سيفضل الحل الوحيد الممكن وهو أنك تهذين أو أنك أصبحت بالخبال أخيراً ..

تخيلى معى امرأة شابة تعيش وحدها كل هذه السنين فى قلعة أثرية مخيفة ، لأنها آخر ورثة أسرة (ماكيلوب) العريقة .. قلعة فيها ما فيها من أشباح .. لابد من أن تلتى مرحلة من التصورات من الهستيريا .. من رؤية ما لا وجود له ..

القصة تبدو منطقية يا عزيزتى ولا اعتقد أن المؤلف سيختار حلاً آخر فلا خيار أمامه .

لا تغضبى منى وتذكرى أن المؤلف هو المسئول الأول والأخير .

لنا لم اختر اتهامك بالخبال .. هو فعل هذا

حافظى على نفسك وتذكرى أننى أحبك كثيراً مهما رأيت من أشباح وموتى عاتدين وحتى جيش الإسكندر الأكبر نفسه .

بإخلاص : رفعت إسماعيل

تمت

-٢٥-

بصراحة كنت أرغب في كتابة نهاية قوية محطمة يبقى مذاقها في فمك أطول فترة ممكنة ، لكن هذه آخر قصة في الكتيب كله (من حيث الكتابة لا الطباعة) ، والمطبعة تنتظر النص وإلا فالويل لي ..

لن يصدر هذا الكتيب في معرض الكتاب كما هو مفترض إذا ظننت بضعة أيام أنتظر ذلك الإلهام السامى ، وأن تتفضل هذه النهاية المراوغة فتبهط على ..

لهذا أطلب منكم أن تسامحونى ..

أنتم جنتم هنا من أجل نهاية مملة ، ويبدو أن هذه نهاية تحقق ذلك الغرض تمامًا .. وحتى لو لم تكن مملة فهي سخيفة ومخيبة للأمال بما يكفى لتحقيق أحلامك ..

تمت

-٢٦-

هكذا رحلت أركض عبر ممرات القصر .. تسلحت بشمعدان ثقيل وجدته على المعادة ، ثم توجهت إلى الغرفة التى اتخذتها لها ..

يبدو أن (أندرو) كان محققاً .. ولربما لو قضيت ليلتى فى غرفتها لما حدث شيء .. ألياً ما كان ما يحدث بالداخل فهو شرير .. دعك من لئلى أنا بالذات لا أجد له تفسيراً

هل أفتح الباب لأجد ذلك الشيطان ذا العبادة منحنيًا على عنقها ، ثم يشعر بى فيطلق فحيحًا كالقطط ، ويتحول إلى وطواط يحلق مغادرًا من النافذة ؟ لو كان الأمر كذلك فإن الحياة مسلية حقاً

برغم كل شيء فتحت الباب ، لأجد ذلك الشيء الذى رأيت صورته على الشاشة ينحنى جوار الفراش .. برغم أننى بلغت هذه المسافة لم أستطع أن أفهم ما هو حقاً ..

توقف تفكيرى عند هذا الحد .. رسمت نصف دائرة بالشمعدان فى الهواء ثم هويت به على هذه الكتلة السوداء ، واعتقد أننى أوجعته لأنه نهض وأطلق أنينا عاليًا ..

وعندما التفت عينا أدركت أنه (أندرو) ! (أندرو أروسميث) الخطيب القلق على خطيبته والذى رتب كل هذا الوضع منذ البداية ..

لكنه لم يكن (أندرو) كذلك .. كان الشر واضحاً فى قسمت وجهه .. ويرغم أن الإضاءة خافتة فإبنى أدركت أن خيطاً أسود ينساب على شفتيه السفلى ..

صحت في ذهول :

« أنت !! »

لكن الأسئلة كانت كثيرة جداً .. لماذا ؟ لو كان هو مصاص الدماء الذي يقودها للنهاية فلماذا طلب مني هذا الطلب ؟ لماذا أراد أن أرى هذا بعيني ؟

ونظرت إلى الفراش لأطمئن على (أليصابات) .. كانت جالسة هذه المرة وهي تتحسس عنقها والشعر يغطي وجهها .. ثم رفعت رأسها ببطء فرأيت ألين نظرة شيطانية ماجنة عابثة .. كانت تضحك لكن ضحكاتها توحي بالتخلف العقلي أو الجنون ..

« هي هي هي هي هي »

ثم بحركة خاطفة كحركات الأفاعي في الهواء انقضت لأاملها على معصمي .. لقد أمسكت به وكان هذا المساعد البائس سقط بين فكي ملزمة ..

هذه المرة لم تكن هناك مجاملات .. هويت بالشمعدان على وجهها فسقطت على الوسادة وهي مستمرة في الضحك كأنها داعية صبيانية ظريفة جداً .. أسوأ شيء في العالم أن تشعر بأن خصمك لا يجد لضربتك أي تأثير .. أنت تبذل أقصى ما بوسعك وهو يعتبرها دعايات مسلية لا أكثر ..

لكن على الأقل تخلت يدها عن معصمي ..

وثبت إلى الخلف وواجهت بعيني (أندرو) الذي وقف يراقب كل هذا في استمئاع كأنه في السيرك .. ومن جديد سألته :

« لماذا ؟ »

قال وهو يمد يده لها :

« أنت تصرفت بحماقة يا عزيزتي واسمحي لي أن أكون خشناً .. لو كانت دماء (أليصابات) تمتص فلا بد أن هناك من يفعل ذلك .. ولابد أنها هي الأخرى ليست على ما يرام لو أردت رأيي .. لكن مصاص الدماء لا يستطيع أن يدخل بيتك ما لم تدعيه للدخول .. هذه قاعدة قديمة معروفة .. لابد أن يجد حيلة كي يجعلك تدعينه لبيتك .. وقد فعلت أنا ذلك .. لقد دعوت (أليصابات) بكامل إرادتك وجئت غرفتها بنفس المنطق .. »

كانت هي قد نهضت من الفراش فقالت وهي تمشي نحوي مترنحة :

« هلمى (ماجى) .. لن تعرفي أبداً كل السحر الذي يقودنا إليه (أندرو) .. في البدء كنت مذعورة مثلك ثم عرفت أن هذا أفضل ما حدث لي في حياتي .. »

كلنا الآن يقتربان مني وأنا أترجع بظهوري نحو الباب ..

لن أجد الوقت الكافي أبداً .. لقد رأيت سرعتها في الانقضاض وأعرف خيراً من سواي أنهما سيطيран في الهواء في أية لحظة .. عنفذ لن بجدي الصراخ ..

إنهما يدنوان ..

يدنوان ..

وهنا تحسست العقد المتدلى من صدرى .. مددت يدي ومزقته بحركة سريعة عصبية ثم تركت حبيباته تنتثر على الأرض ..

هنا وجدتهما ينقضان على الأرض ليجمعا الحبات فى لهفة ..

لقد صدق ما سمعته عن مصاصى الدماء من أنهم لا يأتون أبداً غير مدعوين .. إذن لا يوجد ما يمنع من أن تصدق مقولة أخرى حول إنهم مصابون بوسواس قهري ، وأنهم لا يتركون شيئاً على الأرض إلا وجمعه .. كانوا فى القرون الوسطى ينصحون الناس بأن يحملوا بعض البازلاء أو الحبوب فى جيوبهم ؛ لينثروها على الأرض كي ينشغل مصاص الدماء بجمعها ، وهذا يتيح لهم وقتاً للهرب .. الغريب أيضاً أنهم يضعون البذور فى القبر حول مصاص الدماء فيظل بعد للأبد .. (*) ..

لقد انتثر العقد على الأرض فلم يقاوما تلك الغريزة ..

هكذا جريت أغادر الغرفة ، وأغلقت الباب خلفى .. وخلال ثلاث دقائق كنت أدق بعنف على باب (جراهام) الوفى .. الخادم البريطانى الوقور وقد عقد الروب حول خصره يضع يده على فمه غير مصدق ، فهو لم يرنى فى هذا الجزء من القصر منذ ولدت ..

(*) حقيقة ! أعنى أن هذا يقال فعلاً !

لم أكل شيئاً .. فقط طلبت منه أن يأتى معى لأن هناك متسللاً فى غرفة (أليصابات) ..

هرعنا إلى هناك وفتحنا الباب .. كما توقعت .. كانت الفوضى ضاربة أطنابها فى الغرفة والستائر تتطاير من النافذة المفتوحة لكن لا أحد ..

قال وهو يرفع مسدسه :

- « هل الآمنة وثقة من أن ضيفتها قد أفضت ليلتها فى الفراش ؟ »

قلت فى غموض :

- « لست واثقة من شيء .. »

وعندما عدت إلى مكتبى وجدت أن الكاميرا لم تسجل أى شيء .. لقد زالت اللحظات التى رأيتها تماماً من ذاكرة جهاز التسجيل ، فلم تبق إلا صورتى و (جراهام) ونحن نرمق الغرفة فى ذهول ..

هكذا جلست إلى مكتبى وكتبت لك هذه الرسالة .. (رفعت) .. هل تعتقد أننى كنت أهذى ؟ هل تعتقد أن (أندرو) مصاص دماء نجح فى أن يسيطر على (أليصابات) ويجعلها مثله ؟

ثم السؤال الأهم هل تعتقد أنهما سيعودان ؟

تمت

٣٦



د. الزهر الفزوني

هذه قصة مطاطة جداً وإن
كانت هي البساطة بعينها .. يمكنك
أن تختار رقيقاً يناسبك .. يمكنك أن تختار
نوعية الخطر الذي يجب أن تمر به وتختار
النهاية التي تفضلها .. لقد حلم كثيرون بأن تحوى
الحياة زر (undo) كما هي برامج الكمبيوتر ليصحح
أخطائك .. لماذا فضلت كلية الآداب على كلية
الصيدلة ؟ ... لماذا فضلت (عادة) على (لمياه) ؟
لماذا التهمت السبانخ بدلاً من البازلاء ؟ ... ليتك
اخترت العكس منذ البداية .. حسن .. هذه
القصة تحقق لك هذا الحلم .. فقط ابدأ
القراءة ، ولتكن اختيارك حكيمة
أو تبدو كذلك ..